مطبوعات افريقية آسيوية (٣٠)



مقاتل في فيتنام

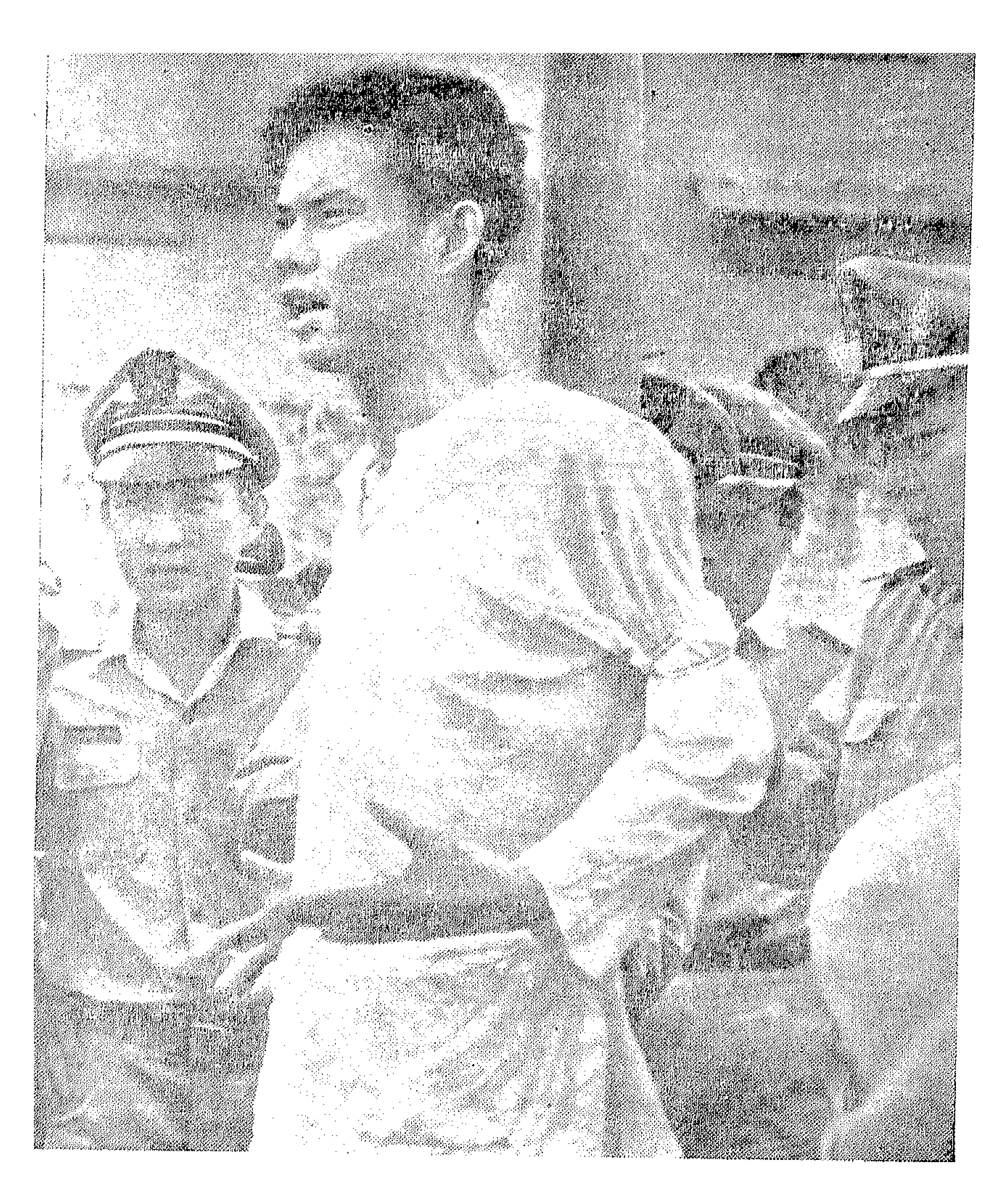
قصة حياة فان تروى

مقاتل في فيتنام

قصة حياة ڤان تروى

كتب القصة تران دينه فان عن
لسان زوجة فان تروى

ترجمة نبيل زكي



فان تروی قبل اعدامه بلحظات



تقديم

فى صباح يوم الأحد ١٠ مايو ١٩٦٤ ، ألقى رجال البوليس القبض على رجل فى سايجون . التهمة هى محاولة اغتيال روبرت ماكنامارا وزير الدفاع الامريكى . ضربوه وعذبوه لكى يعترف على « شركائه » ويرشدهم الى « المكان الذى توجد فيه المتفجرات » . عرضوا عليه اطلاق سراحه « اذا هجر صفوف فيت كونج وانضم الى الحكومة » اعتقلوا معه رجلا يدعى « لـــوى » . كان شجاعا ولم يتكلم . اعتقلوا ابن شقيقه ويدعى « هوا » قال انه لا يعرف شيئا . قبضوا على زوجته الشابة الجميلة « فان تى كويان » فى نفس اليوم . انها الان فى غرفة التحقيق تشهد عمليات التنكيل والتعذيب وتنتظر اللحظة التى ترى فيها زوجها مرة أخرى . قيل لها انه حاول الهرب وفشل وكسرت ساقه وهى لا تعرف مصيره الان .. هذه الزوجة التى ظلت — طوال خمسة أشهر — ترى وتسمع وتتعذب .. وتتعلم ، سوف تهرب بعد ذلك من سايجون الى احدى المناطق المحررة فى الجنوب لكى يلتقى بها الكاتب الفيتنامى « تران دينه فان » فى مؤتمر نساء فيتنام الجنوبية ويسجل بقلمه ، فى صفحات مشوقة ، ما جاء على لسانها عن قصة حياة ونضال « نيوين فان تروى » .. أحد أبطال معركة تحرير فيتنام الذى أعدمته سلطات سايجون بناء على أوامر الامريكيين فى صبيحة يوم ١٥ أكتوبر عام ١٩٦٤ .. فقد كان ذلك البطـل هو زوجها الذى مات وترك وراءه ، فى قلبها ، الأسى الى الأبد .

روعة هذه الذكريات تكمن فى بساطتها وفى شفافية الروح الرقيقـــة التى أملتها ، ومن خلال هذه الذكريات يعيش المرء مع شعب فيتنام .. أبطاله وجلاديه رجاله ونساءه ، أطفاله وشيوخه .. وينفذ الى عقول ونفوس القادة والفدائيين والبسطاء والمترددين والجهلة والمغلوبين على أمرهم .. والخونة . ويعيش المرء فى شوارع فيتنام ودروب سايجون وخلف أسوار المعتقـــلات وداخل زنازين السجون وفى حجرات التحقيق وغرف التعذيب والمعابد والمقابر وفى قاعات المؤتمرات بالمناطق التى تحررت . ويلمس عن قرب محـــاولات الغواية والاغراء واهدار القيم والضمائر . وقارىء هذه الذكريات سيلتقى بنماذج متنوعة من البشر ويشهد أحداثا متتالية متباينة ، وخاصـــة خـلال

الايام السبعة – من ٨ الى ١٥ اكتوبر ١٩٦٤ – التى هزت سايجون ، وسوف يستمع ، خلالها ، الى قصة شعب باسل وتضحيات تنحنى لها الرؤوس اكبارا واجلالا وجرائم تستنكرها الضمائر ، وسوف يتعرف على آقران وأحزان هذا الشعب وعاداته وتقاليده ، ويصغى الى دقات قلبه ويشعر بخلجاته ...

كل ذلك على لسان امرأة بسيطة ، لم تكن « السياسة » موضع اهتمامها، ولم تكن تشارك فى عمل وطنى او حركة ثورية .. كل ما فى الامر انها لما أحبت من أعماقها رجلا صار بطلا وأصبح شهيدا .

« ثمة أنواع من الموت تجعل أصحابها من الخالدين »

كتب هذه العبارة الشاعر الفيتنامى « توهو » بمناسبة استشهاد نيوين فان تروى . وما أصدق هذه العبارة ! ان صورة ذلك العامل الكهربائى الذى ينتمى الى مدينة سايجون ، والذى جعل جلاديه يرتعدون فرقا يوم مماته لن تنمحى من ذاكرة الرجال . ان ملايين وملايين من أمثال نيوين فان تروى قد أخذوا مكانه فى فيتنام الجنوبية خلال معركة شعبنا للقضاء على العدوان الاستعمارى الامريكى . ان ذكرى نيوين فان تروى تقوى سواعد شبابنا وتضاعف من تصميمهم وتلهمهم قوة لا حدود لها .. سواء فى ميادين المعارك أو فى المصانع وحقول الأرز .

وأما عن الموت ، فان نيوين فان تروى .. خالد . ونحن نفكر فيه .. أثناء الطريق الى العمل أو الى القتال ، والنماذج التى من هذا الطراز سوف تعيش دوما سواء فى فيتنام أو فى أى بلد آخر .

كان نيوين فان تروى على استعداد لأن يدفع حياته ثمنا للحياة ، وقد انضم الى قافلة شهداء الحرية .. هؤلاء الذين يضحون بأرواحهم فى سبيل كرامة الانسان وسعادة شعوبهم ، ولهذا احتل تروى مكانه فى صفوف الخالدين .

يوم ١٥ أكتوبر عام ١٩٦٤ ، قامت سلطات سايجون بناء على أوامر الامريكيين باعدام نيوين فان تروى العامل الكهربائى بتهمة محاولة نسف جسر ، كان من المقرر أن يعبر فوقه روبرت ماكنامارا وزير الدفاع الامريكى .

وربما يتذكر الكثير من الناس ، كيف قام الوطنيون فى فنزويلا باختطاف الكولونيل الامريكى سمولين وهددوا بقتله فى حالة اعدام نيوين فان تروى ، وكيف أصدرت واشنطن أمرها بوقف اعدام المناضل الفيتنامى ..

ولكن ما كاد الوطنيون فى فنزويلا يطلقون سراح سمولين حتى أصدر الامريكيون أمرهم باعدام نيوين فان تروى ، في الحال ، رميا بالرصاص ٠

وعندما وصل جمهور كبير من الصحفيين الفيتناميين الجنوبيين والاجانب الى ساحة الاعدام فى ذلك الصباح المشئوم من يوم ١٥ أكتوبر فوجىء برؤية شاب مشدود الوثاق يعقد لهم مؤتمرا صحفيا سيظل ماثلا فى ذاكرتهم الى الأبد ٠

قال لهم :

« أنتم صحفيون ، ولابد أن تكونوا على علم بما يجرى ٠ ان الامريكيين هم الذين اعتدوا على بلادنا ، وأقاموا مجزرة لشعبنا ٠٠ بطائراتهم وقنابلهم ٠ ان هذا « الماكنمارا » هو الذى وضع الخطة الكاملة لغزو وطننا ٠ اننى أحب وطنى حبا لانهائيا ، ولم أكن أريد أن أترك الامريكيين ليطئوا استقلالنا بأقدامهم ٠٠ أبدا ٠٠ لم أفعل شيئا ضد ارادة شعبى ٠ وما فعلته كان عملا موجها ضد الامريكيين ٠ كنت أريد قتل ماكنمارا الذى ارتكب كل هذه الجرائم فى بلادى » ٠

ووجه اليه احد الصحفيين هذا السؤال :

ـ « قبل أن تموت ، هل تشعر بالاسف على شىء ما » ؟

ـ « أشعر بالاسف على شىء واحد ، هو انى لم أستطع قتل ماكنمارا » ٠

وعندما أراد أحد الكهنة أن يطلب له المغفرة ، احتج على ذلك :

ـ « اننى لم أرتكب ذنبا على الاطلاق ، ان الامريكيين هم الذين أذنبوا » ٠

ونزع العصابة التى وضعوها فوق عينيه ليقول :

ـ « دعونى أرى أرض بلادى التى أحببتها كثيرا » ٠

ومات فى هدوء تام ٠ وعندما اخترقت الطلقات الأولى صدره ٠٠ كان رجع الصدى لا يزال يردد هتافه الاخير « عاشت فيتنام ! عاش الرئيس هوشى منه » !

منذ ذلك الوقت عرف العالم اسم هذا البطل الشاب ٠٠ ولكن كيف كان يعيش ؟ كيف كان يفكر ويعمل ويناضل ؟

ان أرملته الشابة « فان تى كويان » ، التى تمكنت من الوصول الى المنطقة المحررة فى فيتنام ، تقص علينا فى الصفحات التالية الايام الاخيرة التى عاشتها مع فان تروى ٠

مقدمة بقلم المؤلف

« فى تلك الأيام ، التى بدأت خلالها فان تى كويان تقص علينا حكاية البطل الفيتنامى .. كان من الصعب عليها أن تلتقط أنفاسها وتحصل على قسط ضئيل من الراحة . فعندما سرت أنباء تقول : ان زوجة نيوين فان تروى وصلت الى هنا لحضور مؤتمر نساء فيتنام الجنوبية ، جاءت الوفود من جميع المناطق والاقاليم للسؤال عنها والالتقاء بها . قدمت امرأة من فرق حرب العصابات فى المنطقة الغربية الى مقر وفد نساء سايجون الى المؤتمر وقالت المرأة فى صوت يفيض بالمشاعر :

« طوال شهر كامل ، قاتل الشعب فى منطقتنا ، لكى ينتقم للأخ تروى، لقد أصابنى جرح فى تلك الحملة ، ونحن نود أن تقضى الاخت كويان يوما فى مقر وفدنا لكى تحدثنا عن زوجها ، ان ذلك سيلهمنا ، عندما نعود الى بيوتنا ، قتل المزيد من قوات العدو » .

« ان تروى ينتمى الى كوانج نام فأنت ابنة لشعب المنطقة الخامسة ، كم نتمنى أن تأتى لتعيشى معنا » .

وقالت احدى الامهات اللاتى جئن من المنطقة الخامسة فى حرارة عاطفية :

ولم تستقر كويان فى مكان واحد ، فقد كانت تقضى وقتها فى التنقل من وفد الى آخر . ولم يعد فى الامكان بالنسبة لى اجراء حديث معها يستغرق فترة الصباح أو بعد الظهر ـ كما حدث فى الايام التى أعقبت هربها من سايجون مباشرة ـ لكى أسجل قصة حياة رائعة ونبيلة عاشها زوجها . انها وعدت بأن تقابلنى كل مساء عقب كل جلسة يعقدها المؤتمر لتقص لى ذكريات الايام الاخيرة التى قضتها مع تروى والمرات الاخيرة المعدودة التى شاهدته خلالها فى السجن وفى زنزانة المحكوم عليهم .

تران دينه فان

مفاجأة

فى ذلك الصباح من يوم الاحد ١٠ مايو ١٩٦٤ داهمنى شعور بالقلق ·
لقد تغيب تروى عن البيت طوال الليل · واستغرقنى احساس بالاشتياق اليه
تجاوز ما كنت أحس به فى أيام الاحاد السابقة ·

منذ زواجنا ، لم يكن فى استطاعتنا زيارة اى فرد من أقاربنا ان أبى
وأمى من الشمال وقد نزحا الى الجنوب كما فعل الكثيرون من القرويين فى
مقاطعة فون جياب ومنطقة توونج تين واقليم هادونج ، منذ عشرات السنين ،
بيد أنهم جميعا ما زالوا يحتفظون بعادات وتقاليد موطنهم القديم · ومن بين
هذه التقاليد أن يقوم الازواج الجدد بواجب الزيارة لعائلة العروس فى اليوم
التالى للزواج · ولكن ، مضت أسابيع على زواجنا ·· وفى كل يوم كان تروى
يجد عذرا يمنعه من القيام بهذه الزيارة · فهل ، يا ترى ·· سيكون فى يوم
الاحد هذا مشغولا أيضا مرة أخرى ؟

وتضاعف شعورى بالقلق · ما هو الامر الذى يمكن أن يصل الى هذه
الدرجة من الاهمية بحيث يحول بينه وبين الحصول على اجازة لمدة يوم واحد
فقط ؟ لقد كان كل منا يحب الاخر كثيرا ، وقبل أن نتزوج ، كلما تطـــرق
الحديث الى موضوع زواجنا المقبل ، كان تروى يشعر بغبطة لا حد لها ،
ويعتبر هذا اليوم الذى سيتزوج فيه أسعد يوم فى حياته ، ويقول : « ان
الانسان لا يشهد فى حياته سوى يوما واحدا من هذا النوع ، ولهذا فلنجعله
يوما عظيما يحضره أكبر عدد من الناس ، وبعد ذلك سنقضى بضعة أيام تكون
لنا وحدنا تقوم خلالها بالرحلات والزيارات » ·

ولكن ، عندما حل يوم الزواج ، لم يف بوعده ·· بل انه لم يقص شعر
رأسه كما كان ينبغى أن يفعل فى مثل هذا اليوم · وبعد زواجنا دأب على

الرجوع من عمله فى ساعة متأخرة من الليل ، ثم مواصلة السهر بعد عودته ليخطط رسوما مختلفة الانواع • وعندما يأخذنى فى صحبته الى أحد أصدقائه كان يتركنى أجلس وحيدة ، بينما ينهمك مع صديقه فى حديث لا ينتهى فى فناء الدار ، وفى بعض الاحيان أشاهدهما يحركان قطع احجار صغيرة عـلى الارض كما يحرك اللاعبون قطع الشطرنج • وسألته اذت مرة « يبدو عليك أنك تعانى من مشاكل كثيرة » • فأجابنى « لقد طلب منى رئيسى فى العمل اصلاح آلة كهربائيـــة معقدة ، ولم أتعـــرف ـ حتى الان ـ على طريقـــة لاصلاحها » •

واختفى خاتم الزواج من اصبعه فجأة • كان الخاتم يحمل حرف « ك » وكنت قد أهديته له بمناسبة عيد رأس السنة القمرية (١٩٦٤) وقال لى ان الخاتم كان يعوقه عن العمل • وأصابتنى الحيرة • ذلك اننى عندما قدمت اليه الخاتم منذ شهور بدا عليه التأثر العميق كأنه وضع بين يديه شيئا مقدسا • وأخذ يهز الخاتم على راحة يده فى اعزاز ثم وضعه فى اصبعه على سبيـــل التجربة ليتأكد من أنه لن ينزلق منه أثناء تأدية عمله ، وقال وهو يدير الخاتم فى اصبعه فى لهجة يختلط فيها المزاح بالجدية « ان يدى لن تتخلى عن هذا الخاتم الا اذا قطع هذا الاصبع فى حادث أثناء العمل » •

وقبل الزواج كان يبدو عليه انه يحبنى بجنون • وتم التعارف بيننـــا عن طريق احدى بنات عمه التى كانت تعمل معى فى نفس المصنع • وفى كل يوم ، عندما كنت أغادر المصنع بعد الظهر أجده واقفا فى انتظارى سواء كان الجو مطيرا أو صحوا • وذات يوم عاد الى قريته فى كوانج نام ليقضى هناك أسبوعين • وأثناء هذه الفترة كتب لى رسالتين طويلتين كانت كلماتهما تحمل الى نفسى شعورا بأننا افترقنا منذ سنين • وأحببت قراءة رسائله ، وكان قلبى ينبض مع كل حرف فيها • وكنت أخفى فى سريرتى اننى فخورة بأن يكون لى هذا الحبيب المخلص الى أقصى درجات الاخلاص ، المحب من أعماقه والذى تكن له عائلتى احتراما شديدا •

وسبق أن غازلنى شبان آخرون ، ولكنه كان يختلف عنهم جد الاختلاف • فهو لم يبالغ فى اطرائى • كان حبه لى عميقا ومخلصا ، ولكنـــه ، فى نفس الوقت ، حبا كريما وجليلا ، لم يكن ليتغاضى عن خطأ بسيط أو كلمات يعتقد أنها طائشة مما يستثير غضبى فى بعض الاحيان ، وعندئذ كان يقول :

« كل ما أبتغيه هو أن اجعلك فتاة أكثر روعة وكلما ازداد الحب بيننا يجب أن يحاول كل منا أن يجعل الاخر أفضل مما هو عليه » •

أما الآن ، فمن الصعب أن أفهم السبب الذى يدفعه الى التصرف على هذا النحو ! لقد أصبح غارقا فى صمته • وحاولت ، فى صبر ، البحث عن سبب لهذا التغير الفجائى فى مسلكه • غير اننى يجب أن أقول انه فيما يتعلق بحياتنا اليومية ظل يواصل اهتمامه بى ، ربما أكثر من ذى قبل • وذات يوم كنت مريضة ، وكان لابد أن أتوقف عن العمل لمدة نصف يوم ، فكان مهموما من القلق ، يدور حول نفسه ثم يندفع بحثا عن الدواء ، كما لو كنت قد وقعت فريسة مرض خطير •

وأخذ يعزف على آلة الماندولين ليسرى عنى ثم يطعمنى بحساء الارز والفاكهة ويرعانى فى رقة • وجلس بجوارى حتى ساعة متأخرة من الليل ليحرك المروحة فى وجهى لكى يداعب النوم أجفانى • وأمس فقط ، كان يجهد نفسه قبل خروجه لكى يعد حماما لى ، فملأ دلوا بالماء وحمله الى البيت المجاور، اذ لم يكن لدينا مكان للاستحمام ، ولهذا كنا تستخدم حمام الجيران • ولكنى عندما رأيته يتهيأ للخروج مساء يوم السبت ثارت نفسى غضبا وقلت له فى استياء :

ــ « اذهب ، اذا كنت تريد ذلك ، فاننى أستطيع أن أحمل المياه بنفسى » •

ــ « لا ، فهناك بضع درجات مائلة على السلم ، وقد تسقطين على الارض»
وعندما وصل الى الباب ، استدار نحوى وقد وضع احدى يديه فوق دراجته :

ــ « سأنتهى فى الحال من اصلاح الالة الكهربائية ، وغدا قد أستطيع دعوتك للخروج سويا فى نزهة سيرا على الاقدام ، أرجو ان تخبرينى فقط أين تفضلين أن نذهب • واذا كانت هذه رغبتك فاننا يمكن آن نرحل ليوم أو يومين » •

وهكذا كنت على ثقة من عودته فى هذا اليوم ــ الاحد ــ واننى سأتمكن من الخروج معه أخيرا • وأعددت الثوب الذى كنت آرتديه لیلة الزفاف •• وبدأت أفكر فى الاقارب الذين سنزورهم ، ومن منهم ينبغى آن نزوره قبل غيره • وأخذت أحدث نفسى « سأصحب تروى معى لزيارة عدد من صديقاتى اللاتى كانت تحلو لهن اغاظتى بقولهن « ان زوجك خجول كالفأر ولا يجرؤ على الظهور بوجهه فى أى مكان ! » •

كانت الساعة التاسعة صباحا ، على وجه التقريب ، عندما اقتحم غرفتى فجأة ، سبعة أو ثمانية رجال من قوة البوليس يجرون وراءهم رجلا •• كبلوا

يديه بالاغلال خلف ظهره . لم أتعرف على تروى لاول وهلة ،ولكنه ما كاد يرانى حتى صاح : « كويان ، لقد قبضوا على » ! واقترب منى وأنا واقفة هنـــاك معقودة اللسان .

حقيقة تروى

انه قضى خارج البيت ليلة واحدة . ولكنه كان يبدو شخصا آخـــر . الوحل والدماء يلطخان ثيابه فلم تعد زرقاء اللون كما كانت . وجهه قداستطال تتخلله الكدمات والرضوض ، شعره مشعث ..

ودفعه رجال البوليس في وحشية الى الداخل وجعلوه يجلس على السرير، وتطلع أحدهم ، وربما كان قائدهم ، حوله ليلقى نظرة فاحصة على غرفتنـــا الصغيرة ، وقال بلهجة فيها لكنة شمالية : « عش أنيق ومريح ، يلائم عروسين جديدين ، ومع ذلك فهو يذهب لاثارة المتاعب » ! ثم أشار باصبعه الى بعض الاشياء وأضاف : « ماندولين ، ثياب جديدة » وأخذ ينقل نظراته هنا وهناك ثم ثبت بصره على وجهى وألقى سؤاله على تروى .. « وزوجة شابة أيضا ، كان لا بد أن تكون في ذروة السعادة ، ما الذى تريده أكثر من ذلك » ؟ ودفع تروى رأسه الى الخلف ليزيل خصلة من الشعر تظلل عينيه وقال :

« قلت لك مرة بعد مرة فى الليلة الماضية ان ما أريده أكثر من ذلك هو ابادة جميع الامريكيين ، أريد أن يعيش الجنوب حرا » .

ووقف قائد فرقة البوليس فى مواجهة تروى وقد أسند ذراعه الى منضدة صغيرة :

ـ « سنرى ما اذا كنت تستطيع الاستمرار في وقاحتك » .

وفي صراخ يأمر القائد رجاله الذين كانوا يبحثون عن « المتفجرات » فى فناء البيت بأن يقوموا بتفتيش دقيق ثم يتجه ناحية الفراش ليقول : « فراش جديد ، وبطاطين ووسائد ! ناعمة ومريحة ! ومع ذلك فانك لم تقنع بالبقـــاء فى بيتك لتستمتع بهذه المسرات ، وبدلا من ذلك سمحت لنفسك بأن تخدعك فيت كونج وتحملك على ارتكاب جريمة ، وبالطبع فقد اختفت فيت كونج ، والله وحده يعلم أين اختفت ، أما أنت فقد وقعت فى أيدينا مكبل اليدين ، وسوف تنال المزيد من الضرب فى الحال » .

ورد عليه تروى على الفور وهو يركز نظراته فى عينى الرجل :

« لسك على شاكلتك ، اننى لا أستطيع أن أطأطىء الرأس وأسعى لحياة ناعمة بينما اليانكى (١) يأتون بالقنابل والمدافع ليقتلوا شعبى » ٠

كان يجلس وقد أسند ظهره الى مقدمة السرير فى هدوء تام وكأنه لا يستشعر وجود رجال البوليس الذين وقفوا ملتفين حوله ٠٠ وأخذ يتطلع الى أنحاء الغرفة الصغيرة التى شيدها بساعديه منذ عامين وعاونه فى بنائها ابن أخيه ٠ لقد جمع أخشابها لوحا لوحا ليقيم جدرانها وجمع أوراق النخيل ورقة ورقة ليصنع لها سقفا ٠

وها هو الان يوجه نظراته نحوى للحظة طويلة ٠٠ طويلة ، كانت عيناه تفيضان بالحب والحنان ٠ وبدا أنه يريد أن يقول لى شيئا وأن يواسينى ٠ ومع تزايد احساسى بمدى ما يكنه لى من حب عميق ، تضاعف شعورى بالندم ٠ اننى ألوم نفسى لاننى لم أستطع أن أفهمه بسبب صغر سنى وانعــــدام تجاربى ، كذلك ألقى اللوم على نفسى لان الشك كان يراودنى ، بعض الوقت ، فى اخلاصه لى ٠

أما الان ، فقد أصبح كل شىء واضحا غاية الوضوح : انه ضحى بسعادته الشخصية فى سبيل الثورة ، بل كان على استعداد ، قبل ذلك أيضا ، لتأجيل زواجه ٠

وأدركت ، فى تلك اللحظة ، لماذا كان يريد أن يرجىء زواجنا ٠ ان الشكوك ثارت فى نفسى ، حينئذ ، وظننت انه ينوى أن يتخلى عنى ، وكنت قد أرسلت الدعوات ، لحضور زواجنا ، الى أصحابها ، فما الذى سيقوله الناس اذا تأجل زواجنا ؟ فلما عجز عن اقناعى بالعدول عن موعد الزواج ٠٠ لبث ساكنا لا يتحرك من مكانه لحظة طويلة ثم قال : « كيف أستطيع أن أجعلك تفهمين ؟ حسنا ، لنمضى فى زواجنا كما اتفقنا من قبل ، ولكن أرجـــوك لا تسيئى الظن بى ، اننى لم أفكر فى الاطلاق فى الابتعاد عنك ، فانا أحبك كثيرا ، وأنت الان غاضبة منى ، ولكنك سوف تدركين حقيقة ظروفى فى يوم من الايام » ٠

وأخيرا فهمت حقيقة تروى ٠٠ انه الان يرسف فى الاغلال ٠٠ جالسا فى ركن من الغرفة ٠٠ وبكيت بمرارة ٠

---

(١) اليانكى : جنود الولايات المتحدة الامريكية ٠

أين المتفجرات

ورجال البوليس الذين يستخدمون معدات الكشف عن الالغام يواصلون التفتيش لفترة طويلة في البيت والفناء ، ولكنهم يفشلون في العثور على متفجرات في أي مكان ، وفي النهاية يتجمعون في الغرفة ويلتفون حول تروى .

وسألني قائدهم : « ألا تعرفين ما اذا كان زوجك قد أخفى أية متفجرات في مكا ما ؟ ألم تلاحظي ، في أي مرة ، انه يحاول اخفاء أي شيء في المنزل ؟» وأجبته وأنا أصرخ :

— « انني لا أعرف شيئا عما يفعله زوجي ولم أره يحاول اخفاء أي شيء على الاطلاق » .

— « اذا كنت تمتنعين عن الكلام ، فسأضرب زوجك الى أن يموت في نفس هذه الغرفة » .

— « لا أستطيع الكلام عما لا أعرفه » .

واتجه الرجل الى تروى :

— « اذا أخبرتنا عن المكان الذي أخفيت فيه المتفجرات ، فستظل هذه الغرفة عش غرام لكل منكما ، أما اذا استمر عنادك فانها ستنقلب الى غرفة تعذيب لتصبح مثواك الاخير » .

— « انني لا أعرف مكان المتفجرات » .

واندفع الجميع نحوه ، انهالوا عليه ضربا ، استعانوا بالصدمات الكهربائية في تعذيبه . كانت هذه الصدمات من العنف بحيث تقذف به الى الفراش وهو يتلوى . لم أستطع الاحتمال أكثر من ذلك ، كيف أظل جالسة على مقعدي ؟ لم يعد في قلبي أثر للخوف . وقفزت نحو رجال البوليس أحاول منعهم من الاستمرار ولكن أحدهم أمسك بي وجرني ثانية الى المقعد وضغط كتفي الى أسفل ليرغمني على الجلوس بالقوة ثم وقف قبالتي . فبدأت أصرخ بصوت عال ، وهنا شرعوا بنادقهم ليشهروها في وجهي وأوقفوا تعذيب تروى ليسألوه :

« أين المتفجرات » ؟

•• تروى يلهث ويلهث ، ولكن صوته أشد ارتفاعا مما كان من قبل :

« قلت لك لا أعرف ، فاذا كنتم ما زلتم تريدون التعرف على موضع المتفجرات فاعلموا انها توجد حيث يوجد الامريكيون » •

فى هذه المرة ، بدأ قائد قوة البوليس عملية الضرب بنفسه اختطف هراوة من أحد رجاله وأخذ ينهال بها على كل موضع فى جسم تروى • وعندما تمضى فترة ، يتوقف الضرب ويوجهون اليه نفس السؤال ثم يعاودون الكرة وانقضت ساعة دون أن يستطيعوا الحصول على ما يريدون معرفته ، لم تخرج كلمة من فمه ، ويأمر القائد رجاله أن يأخذوا تروى •

وهو ينهض على قدميه فى صعوبة ويقول لى بصوت عال :

« لا تقلقى يا كويان ، حاولى أنت وابن آخى هنا أن توفقوا بين دخلكما ونفقاتكما » •

ملابسه تمزقت ، لم يبق فيها زرار واحد •• الدماء تنزف من صدره ووجهه • يتجه نحو الباب فى بطء وتثاقل وعيناه فى عينى ، يحاول أن ينتزع ابتسامة تشرق بها شفتيه • وتقدمت أحاول الافلات من رجل البوليس الذى انتصب يراقبنى •• أريد الاقتراب من زوجى ، ورغم قبضة الرجل التى تشبثت بعنقى خرجت الكلمات المكبوتة :

« تروى ، اننى أحبك كثيرا ، أحبك ! »

واستدار القائد ناحيتى :

ـ « عليك بنسيان الحب والعطف •• والبحث عن زوج آخر ، فهذا الرجل يستحق الموت جزاء جريمته » •

فى حجرة التحقيق

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة مساء ذلك اليوم نفسه ، عندما عاد رجال البوليس الى البيت :

ـ « زوجك يريد أن يراك • الان ، فى الحال » •

فور سماعى ذلك سارعت فى أعقابهم الى السيارة التى كانت تنتظرهم • لو استطعت أن أعرف فى أى سجن زجوا به ، فسوف أتمكن من موالاته

ورعايته وسأحمل اليه الطعام • وبعد برهة ، اتجهت السيارة الى حارة ضيقة وألقوا القبض على تلميذة صغيرة ساقوها معى الى مقر قيادة بوليس العاصمة • وفى غرفة التحقيق ، تبينت أن الشكوك حامت حول التلميذة أيضا ، وثمة اشتباه فى وجود علاقة بينها وبين نشاط تروى • وفى نفس الليلة شرعوا فى التحقيق معى •

سألنى مدير البوليس :

ـ « هل تعرفين شيئا عن نشاط زوجك » ؟

ـ « لا شيء »

ـ « كم من الزمن مضى على زواجكما » ؟

ـ « تسعة عشر يوما بالضبط » •

ـ « ألا تعلمى أن هذه هى أبهج وأ   فى حياة زوجين جديدين مثلك أنت وتروى » ؟

ـ أعرف ذلك فعلا •

ـ حسنا ، اذا ذكرت لنا كل شيء ، دون أن تخفى شيئا ، فان أسعد أيام حياتكما لن تنقطع ولن تكتب نهايتها الان •

لزم الصمت تثاءب تثاءب ثم أسند ظهره الى مقعده الوثير • كان وجهه يشبه وجه فأر ، تبدو عليه سيماء الاشخاص الذين يتعاطون الافيـــون •• واسترسل :

ـ « من هم الاشخاص الذين كان تروى يزورهم فى أغلب الاحيان » ؟

ـ « كان يشتغل طوال النهار • وأحيانا فى المساء أيضا • لم يكن يخرج فى معظم الاوقات • وفى بعض المرات كان يتمشى فى الشوارع • لا أعرف من الذين كان يزورهم فى أغلب الاحيان » •

ـ « ألم يكن هناك أحد يأتى ليزوره أو يتردد عليه كثيرا » ؟

ـ « فى فترات متباعدة فقط •• قد يأتى صديق فيشتركان معا فى عزف الموسيقى أو الغناء أو اصلاح شيء يمكن أن يدر عليهما دخلا اضافيا ، لقـد تزوجت منذ بضعة أسابيع قليلة ، ولا أعرف الكثير عن أصدقائه » •

ـ « حاولى أن تتذكرى ، اخبرينى بكل شىء تعرفينه • أعيدى التفكير • اذا لم تخفى عنى شيئا ، سيطلق سراحه • اننى قابلت تروى والتقيت بك الان • والحق أقول لك انكما زوجان ظريفان • وفى الواقع انى اشعر بأسف من أجلكما » •

ودفع بيده صورة فوتوغرافية كانت فوق مكتبه ، انها صورة الزفاف ، كنت أرتدى ثوبا موشى بالورود الزرقاء وأحمل فى يدى باقة من الزهور ، وهذا هو تروى يقف الى جانبى •

وحاول مدير البوليس ، بمشقة واضحة ، ان يقحم على صوته نغمـا رقيقا :

ـ « فى الحقيقة ، ان الالم ليعتصر قلب أى انسان عندما يتردد فى خاطره أن زوجين شابين مثلكما قد يفترقان قريبا فراقا أبديا • اننى أعمل فى هـذا المنصب منذ زمن طويل ، وقد انقذت سعادة أسر كثيرة • يمكنك أن تثقى بى • ستعودين أنت وتروى للحياة معا مرة أخرى بكل تأكيد •• اذا امتدت يدك فى معاونتى على التعرف على زعماء تروى ورفاقه والمكان الذى تم فيه اخفـاء المتفجرات » ••

قلت له :

ـ « لا أعرف أى شىء يتعلق به • ان عملى فى المصنع وتدبير شـئون البيت يستغرقنى تماما ، يكفى أن تزور مصنع « باك تويت لتعبئة القطن الطبى» حيث أعمل لكى تفهم ما أعنيه • ان على ان أعمل حتى فى أيام الاحاد ، وطوال أيام الاسبوع أشتغل لمدة ١٢ ساعة يوميا بلا توقف أو انقطاع » •

ظل مدير البوليس يستجوبنى ويحقق مع التلميذة محاولا التعرف عـلى ارتباطات تروى وعلاقاته • وعند منتصف الليل اصطحبنـا لرؤية حجرة التعذيب • وهناك جعلنا ندقق النظر فى جهزة التعذيب : حبال تتدلى من السقف تستخدم فى شد وثاق السجناء ، زكائب من الخيش تلقى بداخلهـا جثثهم ، مسحوق الصابون الذى يمزجونه بالمياه ويدفعونه دفعا فى حلـوق التعساء ، مسامير ودبابيس من مختلف الانواع لكى تدق تحت أظافرهم ،حوض للتعذيب باستعمال المياه الخ ••

قال بلهجة متوعدة :

ـ « كل هذه الاجهزة ستفعل فعلها فيكما اذا حاولتما خداعنا » •

أين تروى ؟

فى الساعة الثانية صباحا ، استدعونى ومعى التلميذة الى غرفة التحقيق مرة أخرى · كنت أتلهف على رؤية تروى · حاولت أن أختلس النظر الى كل غرفة مررنا بها فى الطريق الى غرفة التحقيق ولكنى لم أجد له أثرا ·

سألت مدير البوليس : « انك قلت ان زوجى يطلب رؤيتى ، فأين هو ؟»

فأجابنى : « كان هنا ، عند ظهر أمس ، للتحقيق وأردنا أن نشرح له سياسة الحكومة فى « التعبئة » وأن نحمله على الشعور بالندم ازاء جريمته وأن نجعله يهجر صفوف الفيت كونج وينضم الى جانب الحكومة ، ولو انه وافق لكانت حكاتكما قد عادت الى سابق مجراها فى الحال داخل عش الزوجية · ولكننا لم نكد نستهل حديثنا معه حتى قذف بنفسكه خارج النافذة وكسر ساقه، وهو الان فى مستشفى شو راى » ·

ودوى صياحى فى وجهه : « انكم ضربتموه الى أن كسرتم ساقه والان تحاول اقناع الناس بأنه قفز من النافذة ·· »

وقاطعنى بقوله : « لا تحدثنى هذا الضجيج وسط هدأة الليل ·· لقــد ذكرت لك الحقيقة وسوف تتأكدين من ذلك بنفسك فى وقت قريب ··· لم يحاول أحد أن يخفى عنك شيئا » ·

ـ « اذا كان زوجى قد نقل الى المستشفى فلا بد أن تتركنى لأعود الى بيتى » ·

ـ « سوف أخبرك بالموعد الذى تستطيعين فيه العودة الى بيتك » ·

فى تلك اللحظة أدركت أننى سجينة بالفعل ·

وهكذا احتجزونى فى مقر قيادة البوليس ، بل ولم يسمحوا الى بالذهاب الى البيت لاحضار ملابس وأغطية للنوم · وظلوا يجبروننى ، كل يوم ، على حضور جلسات التحقيق مع الافراد الذين يشتبهون فى وجود علاقة بينهم وبين محاولة الاعتداء على حياة ماكنمارا ، ومع بدء دورة الاستجواب تبدأ عمليــات الضرب ·

أسوأ معاملة وأكثرها وحشية هى التى لقيها « لوى » · وكانوا قد ألقوا الـ قبض عليه مع تروى ·

فى مساء ذلك اليوم الذى اعتقلوا فيه كلا من تروى ولوى ٠٠ قام تروى بمحاولة فاشلة للهرب ، ونجح لوى فى تحطيم القيد الذى يكبل يديه وتسلق جدار السجن ، ولكنهم ألقوا القبض عليه مرة أخرى ٠٠ وها أنذا أراه الان لأول مرة ٠ كان فى حوالى الثامنة عشرة من عمره ، وينتمى الى نفس القرية التى ولد فيها تروى ٠ وعندما قبضوا على لوى وساقوه الى السجن لأول مرة لم تعجب نظراته رفاقه من المسجونين ، فقد كان شعره يتدلى فى خصـــلات غزيرة فوق وجهه ، والى أسفل على رقبته مما جعله يشبه أحد أفراد عصابات الشغب فى الشوارع ٠ ولكنهم استطاعوا بعد ذلك أن يعرفوه عن قرب : فقد كان يعمل فى محل للحلاقة وشعره المسرف فى الطول كان تنفيذا لأوامر صاحب المحل من قبيل الدعاية ! ولما عرف زملاؤه انه اشترك فى عمليـــة ماكنمارا شعروا بميل يجذبهم اليه واعتنوا بأمره ٠

وفى غرفة التحقيق ، ضرب لوى بوحشية بالعصى ٠ ولم آكف عن البكاء سواء بدافع العطف على لوى أو لأنى أدركت أن المعاملة التى يقابلون بهـــا تروى لا بد أن تكون أشد فظاعة من ذلك ٠

استمروا يضربون لوى بلا شفقة ، ولكنه لم يتفوه بحرف على الاطلاق ٠ وعندما أصيب باغماءة ألقوا به فى ركن من الغرفة ٠

وبعد ذلك ، كان لا بد أن ألتقى مع لوى لبضع دقائق ، عندما خرجنا من غرفة التحقيق لنتسلم نصيبنا من الطعام ٠٠ قال لى هذه الكلمات بسرعة :

« تروى قال لهم أنه قام بكل شيء بمبادرة شخصية من جانبه ، ولم يكن على اتصال بأى شخص ، وظل يكرر ذلك رغم كل عمليات الضرب ، حقا انه رجل شجاع ، لقد كنت هناك عندما قفز من النافذة ، كنت أجلس ملتصقا به، رأيته يتطلع أولا الى رجال البوليس ، ثم ينقل بصره الى النافذة ، ٠٠ وفجأة قذف بجسمه من النافذة الى الشارع ، ويديه لا تزال مكبلة بالاصفاد الحديدية، ولولا انه سقط فوق سيارة عابرة ، لكان قد استطاع الهرب » ٠٠

ابن شقيق تروى كان الضحية الثانية لهم ٠ انه يدعى « هوا » ، ولم يكن قد تجاوز السابعة عشرة من عمره ويشتغل فى نفس الورشة التى يعمل فيها تروى ، وهى ورشة « نجوك آنة » بشارع فات دييم ، والتى تخصصت فى اصلاح المحركات الكهربائية والمعدات الكهربائية المنزلية ٠ والحجة التى تذرع بها رجال البوليس للقبض على « هوا » ما يلى : طالما أن كلا من العم وابن أخيه

يعمل فى نفس المكان .. فلا بد أن يكون ابن الاخ قد ساعد عمه فى نشاطه أو ، على الاقل ، يعرف شيئا ما عن هذا النشاط !

لا أدرى كم من المرا تتعرض فيها « هوا » للضرب قبل أن أراه ، ولكنى شاهدته وهو يردد طول الوقت « كل ما أعرفه أن عمى كان يقوم بالعمل الذى يكلفه به صاحب الورشة ، لا أعرف أىّ شىء آخر » .

« لا تحطم حياتها »

بعد ثلاثة أيام ، رافقنى مدير البوليس فى الذهاب للقاء تروى . السيارة تشق طريقها عبر مدينة سايجون . والرجل يشير الى الطرقات والشـوارع ويقول : « أنظرى كم هو أحمق .. عزيزك تروى هذا ! الناس يتوجهون الى أعمالهم فى هدوء ويستمتعون بالحياة ، آما هو فقد استمع الى ما قاله له الفيت كونج ، وها هو الان مسجون فى مكان وزوجته مسجونة فى مكان آخر » .

وتدفق حديث الرجل حول أشياء كثيرة ولكن هدير محركات السـيارة طغى على صوته ولم تبلغ أسماعى سوى شذرات من كلماته .

وعند باب مستشفى شو راى أسرعت بشراء بعض الفاكهة لزوجى .

تروى .. سجين فى غرفة تضم ستة أشخاص آخرين .. غرفة معزولة تماما عن العالم الخارجى بواسطة شبكة معدنية وألواح من الخشب تغطى زجاج النافذة الموصدة .. ومجموعة من رجال البوليس فى غرفة مجاورة تتولى الحراسة .

عندما لمحنى أدخل الى غرفته ، حاول النهوض ، ولكنه كان غاية فىالضعف فسقط على الفراش وهو يستند الى أحد ذراعيه .

سألنى على الفور : « هل أفرجوا عن جميع المقبوض عليهم ؟ هل أطلقوا سراحهم ؟

جلست بجانبه فوق الفراش . ان هؤلاء الناس الذين يحبهم ما زالـوا معتقلين ، يواجهون التعذيب .. ورغم ذلك حاولت تهدئته :

ـ « أفرجوا عنهم جميعا . اطمئن . اننى الشخص الوحيد الذى لم يطلق سراحه » .

كان يرتدى مجرد سراويل قصيرة .. وخطوط وأخاديد أرجوانية تملأ

صدره من آثار ضربات العصي وكدمات من آثار اللكمات • أما ساقه اليمنى فكانت موضوعة فى قالب من الجبس يمتد من أعلى الفخذ حتى كعب القدم • كان هزيلا الى حد مخيف ، عيناه غائرتان ، فكه أصبح نحيلا مستطيلا ، وعلى جبينه تنتشر الندوب والرضوض •

لم أستطع مغالبة الدموع عندما نظرت اليه •

ــ « هل تشعر بألم كثير » ؟

ــ « ليس كثيرا • أستطيع النوم • هل ضربوك ؟ » •

ــ « لا • »

ــ « صحيح ؟ »

ــ « أنظر الى •• لترى • ولكنهم وجهوا الكثير من الاسئلة •

وأمسك بيدى وهو يحدق فى عينى بحب واشفاق •

قلت له بصوت فيه غصة :

ــ « اغفر لى • لم أكن مهذبة معك ، وكنت غاضبة منك فى ذلك المساء عندما خرجت • أغفر لى • ولتنس ما حدث ! »

وابتسم ثم تجهم وجهه :

ــ « لا ، لقد كانت غلطتى ، اننى المسئول عن هذا كله ، ولست غاضبا منك ، فأنا أحبك ، أحبك كثيرا جدا » •

وتدخل مدير البوليس :

ــ « انتظر حتى تعود الى بيتك فتتحدث فى مثل هذه الاشياء • اننى هنا الان معكما لأساعدكما على أن تعيشا سويا فترة ثانية • »

ووجه كلماته الى تروى : « لماذا ألقيت بنفسك من النافذة ؟ كل ما كنت أريده ، هو أن أشرح لك سياسة الحكومة ، ففى اللحظة التى تفهم فيهـــا سياسة الحكومة وتهجر صفوف الفيت كونج سوف يسمح لك بالعودة الى أسرتك • ألا تشعر بالسعادة عندما تفكر فى ذلك ؟ ولكننى لم أكن قد شرعت فى الكلام وقتئذ عندما رأيتك تقفز •• »

وقاطعه تروى :

ــ « لا تضيع وقتك فى محاولة تشرح لى فيها سياسة « التعبئة » .

حاول مدير البوليس أن يحتفظ بهدوئه ، وواصل حديثه فى نغمـــات معسولة :

ــ « اننى أعرف أنك لست المجرم فى هـــــذه العملية ، انه شخص آخر » .

ــ « لا يوجد مجرم فى هذه العملية ، فان قتل المعتدين الامريكيين لايشكل جريمة ، بل يمثل خدمة للبلاد . اننى أنا الذى وضعت خطة القضـــــاء على ماكنمارا ، وليس أى شخص آخر » .

وفى صبر دؤوب يسعى الرجل لكى يجذبه اليه :

ــ « فكر فى الامر مرة أخرى . ألا تدرك انك ارتكبت جريمة خطـــيرة للغاية ؟ انها محاولة للاعتداء على حياة أحد كبار المسئولين الامريكيين » .

ــ « ذلك لأننى عرفت أنه أمريكى استعمارى من أصحاب الامر والنهى ، فقد أردت أن تصل اليه يدى ، حتى لو كلفنى ذلك .. حياتى . »

وتبادل رجال البوليس الذين كانوا يقفون حول فراشه نظرات غاضبة ، وأخذوا يتحفزون للتنكيل به ، ولكن صوت مدير البوليس كان أكثر هـــدوءا من ذى قبل :

ــ « فكر فى زوجتك الشابة الجميلة . عليك أن ترثى لحالها . انـــك تزوجتها منذ بضعة أيام . لا تحطم حياتها كلها . »

ــ « طوال الايام الماضية ، منذ تم القبض على ، وأنت تضرب على هذا الوتر ، وتتحدث وتكرر الحديث حول حداثة عهدنا بالزواج ، وجئت بصورة زفافنا لتضعها تحت أنفى وتلقى خطبا مسهبة عن الحب والسعادة .. يحدوك

هذا اليوم ــ الاحد ــ واننى سأتمكن من الخروج معه أخيرا . وأعددت الامل فى أن تحجب صورة زوجتى ، عن عينى ، صورة بلادى . دعنى أقول لك ، أنك تضيع وقتك ، فطالما ان اليانكى يوجدون هنا فلن يستطيع انسان أن يحصل على السعادة » .

وتجاهل مدير البوليس النبرات القاطعة التى خيب بها تروى رجاءه :

ـ « بالامس ، لكى أساعدك على تمضية الوقت ، أحضرت لك تسجيلا لقصة يرويها طالب من الشمال عبر مؤخرا خط العرض ١٧ هاربا من الجنوب. انه من النادر أن ترى او تستمع الى شخص تخطى الحدود قادما من وراء الستار الحديدى الشيوعى ليقص عليك تجربته • ولكنك رفضت أن تتجاوب مع مرونة الحكومة وتساهلها وأن تقدر ظروفها ، بل لقد جسرت على تحطيم جهاز التسجيل • انك تجاوزت كل الحدود ، ولن ينفع معك أى أسلوب آدمى • »

ـ « لو كان هذا الحقير القذر هنا ، لما توقفت عند حد تحطيم جهاز التسجيل ، بل لقد كنت حطمت جمجمته أيضا ، انه لم ينفث افتراءاته ضد الشمال فحسب ، بل وتجرأ على الافتراء على الرئيس هوشى منه • يا للوقاحة ! »

كان يتحدث بصوت مرتفع ، ويضغط على كل كلمة وهو راقد في فراشه يتنفس بصعوبة ، يكتسى وجهه بالغضب ، وبدا كما لو كان يعتزم الاسترسال في حديثه ، بينما مدير البوليس يحاول أن يحتفظ بمظهره الهادىء :

ـ « سأعود اليك فى يوم آخر » • ثم وجه كلامه لى : « هيا الى الخروج أنت أيضا ، فقد انتهى الوقت المحدد » •

سارعت لتقشير برتقالة لزوجى وجعلته يأكل جزءا منها ووضعت الجزء الباقى فى يده ، ثم انحنيت فوقه لكى أهمس فى أذنه « سأتبعك أينما ذهبت • وفي الوقت الذى ينقلونك فيه الى مكان آخر ، تولى ابلاغ الاسرة » •

أغنية الأمل

نقلونى الى سجن آخر تابع للادارة العامة للبوليس • وضعونى فى زنزانة مع عشر نساء أخريات • اثنتان منهن في مثل عمرى : الفتاة « أ » وهى طالبة قبضوا عليها بينما كانت ترفع لافتة معادية للامريكيين ، والفتاة « ى » كانت تعمل فى شركة تجارية وقد عذبوها بضراوة ، والسبب أنهم عثروا فى مكان عملها على أعلام ووثائق لجبهة التحرير الوطنى • وكانت « ى » تحرك قدميها بصعوبة ، فى هذا الصباح ، أثناء عودتها من التحقيق ، وظلت تجر نفسها وهى تستند الى الجدار ، ولقد غرسوا الدبابيس تحت أظافرها ، وما زال الدم يقطر منها • وما أن دخلت الى الزنزانة حتى أخفت وجهها بين كتفى واحدة من صديقاتها وانفجرت فى بكاء مرير • رفضت الكف عن البكاء وقالت وهى

تنشج : « دعونى أبكى ، أتركونى ، اننى أستطيع أن أبكى هنا بين الاصدقاء ولكنى لا أبكى أبدا فى مواجهتهم ، كل ما أفعله ثناء وجودى مامهم هو أن أعلن عن مدى احتقارى لهم » .

مضى يومان على وصولى الى هذا السجن ، وما زلت بلا صـــديقات ، والمسجونون الاخرون ينظرون الى بعيون جامدة ومستريبة .

وفى ذلك المساء ، بعد تناول الطعام ، انطلقت من الزنزانة أغنية . وبعد أن غنت واحدة من النساء مقطعا ، واصلت الأخريات بقية الاغنية بصـوت جماعى خافت . واشتركت الفتاة « ى » فى الغناء . وكان ظنى أن صاحبة هذا الجسد والوجه ـ بما فيهما من آثار التعذيب ـ لا يمكن أن تخرج من بين شفتيها سوى الانات والتأوهات .. وليست الاغنيات بأى حال . لقد جلست، وهى تستند الى القضبان الحديدية ، قبالتنا ، وأخذت تغنى بانفعال . يداها الملفوفتان فى الخرق البالية تتحرك صعودا وهبوطا .. تقتل الوقت . وبعد برهة ، قالت بعد أن لاحظت آثار البكاء فى عينى : « الغناء الجماعى بديع . لماذا يبدو عليك الحزن العميق ؟ كفى عن البكاء واشتركى معنا » . كانت الفتيات يتبادلن نوبات المراقبة والحراسة . وكلما اقترب حراس الســجن يتوقف الجميع عن الغناء ويتظاهر النساء بأنهن يتبادلن الحديث . وكانت الاغنية طويلة وضع ألحانها موسيقى من الشمال ، وتدعى « أغنية الامل » . لم أعد أجرؤ على البكاء ، فى تلك اللحظة ، وفى هذا الجو المستبشر بالآمال شعرت بأن موقفى سيتصف بالشذوذ ، واصابنى الارتباك عندما رأيت « ى » تحاول أن تستظهر الاغنية . لقد كانت مفعمة بحب الحياة . أحسست بالثقة فيها وأجبت على كل سؤال وجهته لى .

وفى الصباح التالى ، واصلنا حديثنا . أخبرتها بما حدث لى . وعندما ذكرت لها اسم زوجى فوجئت بذلك مفاجأة شديدة وسألت بسرعة : « هل قلت ... نيوين فان تروى ؟ اذن فأنت زوجة الرجل الذى كاد يقتـــل ماكنمارا ؟ »

ـ « نعم » .

ـ « هل صحيح أنه قذف بنفسه من النافذة وكسر ساقه ؟ »

ـ « نعم ، لقد رأيته فى المستشفى .

فصاحت :

ـ « يا للمسموات ! » وألقت على نظرة تفصح عن تعـــاطف عميق وهى تربت بيديها المتورمتين على كتفى ثم قالت :

ـ « كان ماكنمارا قاب قوسين أو أدنى من الموت عندما تفقد المنطقـــة الغربية فى العام الماضى ، شعرة واحدة كانت تفصل بينه وبين الموت ، لقد ضربت الطائرة التى ترافقه للحراسة . وفى هذه المرة الاخــــيرة ، أفلت بأعجوبة . ورغم أن تروى لم يوفق فى قتله ، فلابد أن يكون هذا اليانكى قد ارتعدت فرائصه . ان أحد الاشخاص الذين جاءوا بهم الى هذا السجن أخيرا قال لنا ان البوليس عثر على اللغم ثم أجرى تفتيشا دقيقا بحثا عن المتفجرات حول جسر كونج لى (١) ورغم ذلك لم تواتهم الجرأة على استخدام الجسر . وجاءت طائرة هليكوبتر لتنقل ماكنمارا وتحمله من مطار تان سون نهوت الى باب المستشفى الجمهورى . ومن هناك اتجه الى السفارة الامريكية عن طريق شارع جانبى . وبسبب العمل الذى قام به تروى .. مرق ماكنمارا مسرعا كالفأر » .

... وانتشر الخبر فى جميع عنابر السجن : « زوجة تروى فى الزنزانة رقم ٤ » .

ومن الزنازين التى تقع فى مواجهتنا جاء صوت يدوى عبر الممر :

ـ « هل هذه هى الأخت تروى ، أليست هى ؟ هـــل هى التى ترتدى البلوزة الزرقاء الفاتحة ؟ »

ـ « نعم ، أنا » .

ـ « هل أنت بخير ؟ هل ضربوك ؟ »

كان وقع الصوت يدل على أن صاحبتـــه امرأة متقـــدمة فى السن . قلت لها :

ـ « لم يفعلوا ، لقد استجوبونى فقط وحاولوا تهديدى . »

ـ « نحن هنا فى السجن . سمعنا الكثير عن تروى . الاشخاص الذين يعرفونى ممن شاهدوه فى السجن .. وحتى بعض رجال البوليس تحدثوا عن

---

(١) « كونج لى » باللغة الفيتنامية معناها العدالة .

شجاعته . ورغم أن عشرات الآلاف من الجنود كانوا يقفون للحراسة وعلى أهبة الاستعداد ، فان تروى حاول أن يضع لغما ، وقد أفلت القرصان العظيم بجلده مذعورا .. كم عمرك يا طفلتى ؟

ـ « عشرون » .

ـ « هل تحتاجين لأى شيء » .

ولما ظهر ترددى ، ولم أدر ما أقول ، تولت الاجابة عليها سجينة أخرى :

ـ « لقد جاءت الى هنا صفر اليدين ، لم يسمحوا لها بأن تحضر معها أى شيء » .

وعند الظهر ، فتحت أبواب الزنازين لكى يذهب السجناء لتناول الطعام .

كثيرات انتهزن هذه الفرصة ليجمعن أشياء كثيرة يهدونها لى : ملابس ، بطانية ، ناموسية ، فرشة أسنان ، فاكهة وغيرها . وجرت منافسة بين نساء عدة حول من منهن التى تصحبنى الى قاعة الطعام ، وهناك أصرت كثيرات على أن يشركنى معهن فى طعامهن . هذا التعاطف مس شغاف قلبى ، وشعرت كأننى فى زيارة لأقاربى بعد غيبة طويلة .

وأثناء تناول الطعام ، كانت تجلس الى جانبى الأخت « ك » . وهمست فى أذنى :

ـ « اذا شعرت بحاجة الى أى شيء أو انتابك القلق .. صارحينا بذلك، سندافع عنك ونساعدك . ان لنا امنية واحدة : أن تكونى فى حالة طيبة وأن تحرزى تقدما حتى يهدأ بال تروى » .

وقالت الأخت « ك » انها قابلت تروى أخيرا ، فسألتها على الفور : «أين التقيت به ؟ كيف حاله ؟ »

فابتلعت كمية من الأرز ثم بدأت تتكلم فى ايقاع بطيء :

ـ « بعد أن قفز تروى من النافذة وكسر ساقه .. ضربوه .. وعند المساء نقلوه الى عنبر المسجونين بمستشفى شو راى . وقد رأينا ـ نحن النساء المسجونات بالمستشفى ـ رجال البوليس يحملون رجلا تغطى جسمه

ببطانية لا يظهر منها سوى وجهه . وضعوه عند باب غرفتنا . كان الرجل شابا لا يتجاوز العشرين من عمره ، وحاولنا أن نستدرج حارسه لكى نعرف بعض المعلومات . فقال الحارس : « انه الرجل الذى حـــاول قتل مستر ماكنمارا » . وهنا اندفعنا جميعا خارج غرفتنا لكى نعتنى به ، ولكن رجال البوليس استخدموا العصى ليمنعونا من الاقتراب منه . وأخيرا وافقوا عــلى السماح لواحدة منا بالخروج اليه . وقد حاولت زميلتنا التحدث الى الشاب ولكنه كان فاقد الوعى ، مغمض العينين كما لو كان نائما ، والتنفس منتظم . وانتظرت زميلتنا حتى انتهى حارسه من تناول طعامه واحضار المفتاح ثم وضعوه فى زنزانة وأغلقوها عليه . وفى الساعة التاسعة ليلا . جاء رجال البوليس مرة أخرى ومعهم عربة ونقلوه الى مكان آخر . واستدرجنا حارسا كان يقف عند البوابة ليذكر لنا السبب فيما حدث . فقال وهو يهز رأسه : « ان هذا الفيت كونج .. مخيف ، لقد قفز من النافذة عند الظهر فى محاولة للهرب ، ولكنه كسر ساقه ، فجاءوا به الى هنا . فهل كان يخطر على بال أحد من الناس أنه لن يستقر هادئا لحظة من الزمن ؟ ولكن هذا هو ما حدث . فعندما كنا نلقى النظر من خلال نافذة زنزانته هذا المساء ، ما الذى رأيناه ؟ كان ينزع الضمادات التى تلتف حول جسمه ويستعد للقيام بمحاولة جديدة للهرب ! وهكذا كان لابد من نقله الى مكان آخر حيث يمكن تشديد الحراسة من حوله . ولو أنه نجح فى الهرب ، لكان مصيرنا جميعا .. السجن » .

وبعد يومين ، جرى حديث آخر بيننا وبين بعض حراسه ، فذكروا لنا بعض القصص التى تدور حوله .

ففى الليلة التى نقلوه فيها من مستشفى شو راى ، ذهب رجال البوليس عند منتصف الليل كى يدققوا فى فحص سجنه الجديد ويتأكدوا من متانته ، بعد أن ارتاعوا جميعا لدى سماعهم عن المحاولة الثانية التى يقوم بها خلال يوم واحد للهرب .

ورغم الساق المكسور ، والأيدى المكبلة بالأصفاد ، والجروح ، والبنيان المتهدم .. يظل تروى محتفظا بكبريائه . فهو يرد على أية اهانة يقذفه بهــا الجنود « ويسلقهم » بلسانه .

اتهمه الجنود بأنه عميل للشيوعيين ، وبعد أن حاولوا تلطيخ الشيوعية بكل أنواع الافتراء ، اتهموه بأنه ارهابى ومخرب يعمل بوحى الشيوعيين . ورد عليهم تروى بأنه لم ير الشيوعيين ، على الاطلاق ، يلحقون الضرر بأى

شخص ، بل على العكس ، فمنذ صباه وهو يرى اليانكى يتدفقون على البلاد بأعداد متزايدة باطراد ، ويتردد على سماء سايجون صدى أزيز طائراتهم ، وهم يقتلون ن الشعب بقنابلهم ورصاصهم · ثم أضاف تروى ساخرا : « اذا لم تكفوا ، أيها الاوغاد ، عن تسميتى بعميل الشيوعيين ، فاننى سأعتبر هذه التسمية شرفا لى » · فان الشيوعيين يعملون لخير الشعب · ان الذين يتزلفون للامريكيين ، هم وحدهم ، الذين يحق لهم أن يشعروا بالخجل من أنفسهم » ·

فى تلك الليلة ، صدرت الأوامر الى رجال البوليس بفرض رقابة مشددة على السجين خشية أن يحاول الهرب ثانية · ولما كانوا يجلسون بجواره ، فقد استمع رجال البوليس الى تروى وهو يتحدث عن الموقف السياسى ويشرحه لهم · وقد أصبح أحد هؤلاء الرجال يحمل تقديرا عاليا لتروى ، وقد ذكر لنا انه عندما كان تروى يتحدث اليه ، يفيض صوته بالرقة وتختفى منه الخشونة التى يتحدث بها الى الجنود ، عندما كان يرد عليهم كلمة بكلمة · قال الرجل أيضا أنه قدم المياه الى تروى ليشرب ومنشفة مبللة ينظف بها نفسه ·

فى مدينة الرذائل

اليوم ، سمحوا للسجينات بالخروج من الزنازين والجلوس تحت أشعة الشمس فى فناء السجن · وبالنسبة لصغيرات السن أمثالنا ، كان الجلوس تحت أشعة الشمس أو القيام بمهام شاقة تهيىء فرصا طيبة للاستمـاع الى الأخت « ك » أو المسجونات الأخريات اللاتى يسردن القصص حول الكفـاح داخل سجون الأعداء ·

وقد دخلت الأخت « ك » سجونا عدة ، وقضت سنـوات فى زنزانة انفرادية تقع داخل جب تحت الارض . وصدر الحكم على زوجها بالموت ، وربما يكونوا قد أعدموه · ورغم ذلك . فانها كانت تنتقل بيننا ، نحن السجينات ، وهى تشيع المرح والتفاؤل · وكثيرا ما كانت تجلس معنا لتلقى بصوت عذب وفى نبرات خافتة قصيدة « الأخ دونج » . وهى القصيدة التى ذاع صيتها فى السجن باسم « قصيدة عن العزيمة الشيوعية » ·

وحدثتنا الأخت « ك » عن النشاط الثورى للأخ دونج وعن موته البطولى فى سجن « جيادينه » · وكانت « ك » تثنى على زوجة دونج التى كان عليهـا أن ترعى أطفالها الكثيرين ، مع ذلك وقفت بثبات الى جانب زوجها وقاتلت حتى النهاية ، وهى فى زنزانة السجن . دفاعا عن الثورة · وأحببت ، بنوع

خاص ، سماع القصص التى تتحدث عن الزوجات اللاتى يقفن فى اخلاص الى جانب أزواجهن ، يشاركونهم السراء والضراء · وفى نفس الوقت ، فان سماع هذه القصص جعلنى أخجل من نفسى ذلك لأننى لم أقف عند حد عدم تقديم أدنى مساعدة لزوجى فى عمله الثورى · بل أيضا كنت أجعل من نفسى أداة لازعاجه واقلاقه · يا للمسكين تروى ! كان يحرص ، فى كل مرة يعود فيها الى البيت فى ساعة متأخرة ، على أن يمر على منزل والدى ليأخذ شقيقتى الصغرى ويصحبها معه الى بيتنا حتى لا أشك فى أن مشاعره نحوى قد تغيرت· وتجمعت هذه الحوادث فى ذاكرتى ووخزت قلبى عشرات من الابر · كيف كان يجب على تروى ، قبل زواجنا وبعده ، أن يستجمع طاقته ويركز انتباهه فى مهمته الشاقة والخطرة ، وكيف كان عليه — فى نفس الوقت — أن يبذل جهده معى ليظل قلبى مطمئنا · وقالت الأخت « ك » ، بعد أن الدموع تطفر من عينى :

— « حاولى ضبط مشاعرك · اذا بكيت ، فان الحراس سيرتابون فى أمرنا ويسوقوننا الى الزنزانة » ·

فقلت لها :

— « أناس آخرون ، كانت زوجاتهم أو كان أزواجهم يقدمون لهم يد المساعدة فى نشاطهم الثورى · أما أنا ، ففى حالتى لم يقتصر الامر على مجرد عدم بذل أدنى مساعدة لتروى . بل كنت أعترض طريقه فى أغلب الاحيان ، يؤسفنى انى لم أكن موضع ثقته » ·

قالت الأخت « ك » تشرح الأمر كما تراه :

« فى العمل الثورى ، على كل امرىء أن يحمل على كاهله وحده عبء تنفيذ مهمته ، وينبغى ألا يتحدث فى ذلك مع اشخاص آخرين ، الا اذا تطلب تنفيذ مهمته أن يفعل هذا · هذه قاعدة مطلقة · والمفروض أن يتبع كل شخص هذه القاعدة · كيف كان فى استطاعة تروى أن يحبك ما لم يكن يثق بك ؟ هل كانت تجرى بينكما أحاديث كثيرة ؟ ·

— « غالبا ما كان يكتشف أخطاء فى تصرفاتى » ·

— « كيف كان ذلك ؟ » ·

ودفعنى السؤال الى التفكير لفترة من الوقت :

ـ « كان ينتقدنى عندما يلاحظ أن جيراننا ليسوا موضع تفكيرى على الاطلاق • لم يكن يحب الثياب المزوقة ، ويقول « اننا عمال ويجب ألا نقلد ذلك الطراز من الثياب الاستعراضية » •• وثيابى لونها اما أزرق بلون البحر أو بيضاء ، وكان يحب هذه الالوان وكان يرفض الذهاب الى دور السينمـــا قائلا : « سنشاهد الكثير من الافلام كما نريد عندما تصبح سايجون مدينـة صحية مثل هانوى » • وخلال السنتين اللتين عرف فيهما أحدنا الاخر لم نذهب الى السينما مرة واحدة » •

وسألتنى الأخت « ك » :

ـ « والآن أنت تعرفين الى أى حد يكره تروى اليانكى • ألم يصرح لك بهذه المشاعر فى أحد المرات ؟ » •

ـ « نعم ، كان يصرح بذلك غالبا • وقال لى ان موطنه شهد الحمـــلات الأولى التى قامت تحت شعار « التبليغ عن الشيوعيين » على يد عصابة « دييم الامريكية عام ١٩٥٤ ، وأنه شاهد بعينى رأسه كيف يكبلون الناس معـــا بوضع سلك معدنى يخترق أيدى بعضهم البعض فى « شو دووك » و « فينه ترينه » ، ثم يأخذونهم بعيدا •• الى حيث لا يعرف احد مصيرهم • ولم يحدث أبدا أن عاد واحد منهم الى موطنه • وقالت له شقيقته يوما : « من حسن الحظ أنك ما زلت صبيا والا لكنت قد لقيت نفس المصير » •

وبعد أن أحب كل منا الآخر بزمن قصير ، قام بزيارة لموطنه فى كوانج نام ثم اتجه الى « هوى » ، ووصل هناك فى نفس الوقت الذى كان البوذيون يتعرضون فيه لحملات القمع لأول مرة • وكان يغلى من الغضب عندما التقيت به بعد عودته الى سايجون • قال لى انه رأى الناس يسحقون تحت جنازير الدبابات •• وآخرين تفجر قنابل المدافع أجسادهم فتتحول الى قطع صغـيرة متناثرة •• وقال أيضا ان اليانكى أكثر وحشية من الفرنسيـــين ويتفوقون عليهم بمراحل • وعندما كانت ذاكرته تستعيد هذه الاحداث ، فيما بعد ، كان يردد « يستخدمون المدفعية لاخماد مظاهرات شعبية ! ربما كانت فيتنام الجنوبية هى المكان الوحيد فى العـــالم الذى تجرى فيه هذه الاعمـــال البربرية » !

وكنت أعرف منذ زمن طويل أنه يكره المعتدين الامريكيين •• بل انه لم يكن يدعوهم ، على الاطلاق ، بالامريكيين • فلو قابلنا ، ونحن نمشى خارج البيت ، داورية أمريكية ، كان يشدنى الى الوراء ويستوقفنى قائلا « دعى

هذه الخنازير القذرة تغرب عن وجوهنا أولا » ، هكذا كان يسمى المعتدين الامريكيين • ولكنى لم ألاحظ ما يدل على أن له نشاطا ضد الامريكيين الا أخيرا جدا • وخامرني احساس ، في لحظة معينة ، انه انضم الى منظمةمناهضة للامريكيين بعد سماعى القصص التى يرويها وبسبب الطريقة التى يتصرف بهـــا •

وعاد الى البيت يوما ، بعد زواجنا مباشرة ، يشرق زهوا وخيلاء « اليوم •• أخبار غير عادية ! هل سمعت بها ؟ » •• هكذا جاء يسألنى ، ولما لاحظ دهشتى •• أخذ يتكلم : « ان قومنا أغرقوا حاملة طائرات •• حمولتها ١٥ ألف طن ، وعلى سطحها عشرات الطائرات • ياله من عمل باهر وعظيم ! آه •• لو كنت أستطيع أن أفعل شيئا من هذا القبيل » !

ومرت بضعة أيام ، ثم تغيب عن موعد تناول الغداء • كان ذلك اليوم هو السادس من مايو • وذهب تروى مع عمال آخرين لتشييع جنازة ســائق تاكسى أطلق عليه اليانكى الرصاص • ولما رجع تروى الى البيت قال ان الجنازة انقلبت الى مظاهرة معادية للامريكيين بصورة واضحة وكان شعارهـا « يسقط المعتدون والقتلة الامريكيون ! » وكان من المقرر أن يبدأ أسبوع مناهضة الامريكيين يوم ١٥ مايو ويستمر حتى يوم ٢٢ ، وأثناء هذا الاسبوع يرفض سائقو التاكسى السماح للامريكيين بأن يستقلوا سياراتهم ، كما يعلن المواطنون الذين يعملون فى نواحى النشاط التجارى الاخرى مقاطعتهم •• وكذلك يمتنع بائعو الصحف وماسحو الاحذية عن التعامل مع الامريكيين • وكان تروى يتطلع الى هذا الاسبوع •• أسبوع النضال ضد الامريكيين •• ولكن فى يوم ٩ مايو ألقوا القبض عليه » •

هزت الأخت « ك » رأسها ، وقالت :

ـ « عزيزتى كويان ، فى الحقيقة انك فتاة غاية في البساطة ، انك لم تتبينى أن تروى كان يثق بك ، وكان يوجهك الى العمل الثورى • ففى مدينة يحتلها الاعداء كمدينة سايجون ، سرعان ما يقع المرء فى قبضة البـــوليس السرى ، اذا لم يكن يتمتع بحب الناس وحمايتهم له •

وانتقادات تروى لك كانت تهدف الى توجيهك لكى تكونى شخصية كاملة تستطيع أن تميز بوضوح بين الصواب والخطأ • وكان يقصد من وراء ما يقوله لك أن يجعلك تدركين ، تدريجيا ، من هم الذين يسببون كل هــذا العذاب للجنوب ، ولكى يحملك على كراهيتهم ، حتى يجىء اليوم الذى تطلبين

فيه الانضمام الى الثورة • وعندما استمع الى حديثك يتضـــاعف احترامى وتقديرى لزوجك •• هذا الشاب الذى تجاوز العشرين بقليل ويعيش فى مدينة مثل سايجون تحكمها الرذيلة •• مدينة حافلة بالمغريات من جميـــع الانواع ، ومع ذلك لا يذهب الى دار للسينما سوى مرة واحدة خلال عامين ــ وربما ذهب تلك المرة الوحيدة لمجرد انه يريد أن يشيـــع البهجة فى قلب حبيبته » !

وشعرت ببعض الارتباك ، فان المرأة وضعت يدها على الحقيقة ، عندما أشارت الى تلك المرة التى ذهبنا فيها سويا لمشاهدة أحد الافلام •

ــ « كان الفيلم الذى شاهدناه عن حياة بوذا • لم أفهم منه شيئا • وعندما عدنا الى البيت شرعت أستفسر منه عن الفيلم ، ولكنه قال انه نسى الفيلم تماما » •

وانفجرت السجينات الأخريات ضاحكات • ووضع البعض يديه فوق شفتيه ليكتم ضحكاته • وسألتنى الأخت « ك » :

ــ « ألم يتحدث اليك ذات مرة عن حياته » !

وانتقلنا الى بقعة مشمسة فى طرف قصى من فناء السجن ، ولما شعرت أن رفيقاتى جميعا ينصتن فى انتباه •• بدأت قصتى •

•• عد الى بيتك •• يا أخى

لم أذهب ، فى أى يوم ، الى موطنه • ووعدنى ، ذات مرة ، بأن نذهب اليه فى يوم ما • كان دق قال لى انه سيطلب الحصول على اجازة لبضعـــة أيام بعد أن نتزوج لنقوم بزيارة للاقليم الذى ولد فيه وقال ان كوانج نام اقليم فقير ، لا توجد به سوى حقول قليلة للارز ويضطر الناس الى أن يهيموا على وجوههم بحثا عن عمل • والشىء الوحيد الذى يتوفر بكثرة فى هـــذا الاقليم •• هو المياه • فلا يحدث هناك مثلما يحدث فى سايجون حيث يتزاحم الناس بالمناكب عند المساقى العامة فى سبيل الحصول على صفيحة من المياه • كان تروى يتغنى بجمال نهر توبون الذى يقع على مسافة مائة متر من بيته • مياه النهر تجرى صافية ، والضفاف الرملية تظللها غابات أشجار البامبو • وعندما كنا نرى الناس فى سايجون يتقاطرون على المصايف البحـــرية فى فونج تاو فى أيام الاجازات ، اعتاد تروى أن يطيب خاطرى بقوله : « عندما نزور اقليمنا سترين أن المساحات الرملية على طول ضفاف النهر لا تقل جمالا

عن البلاجات على شواطىء البحر وسيكون لدينا الوقت الكثير لننعم بأشعـــة الشمس » •

عاش أياما حزينة في طفولته • ماتت أمه بينما كان طفلا صغيرا • فقد كان في الثالثة من عمره عندما شن الفرنسيون هجومهم على الاقليم لاصطيـاد العناصر الثورية • وأخذته أمه معها عندما ذهبت لتختفي في الغابات • ولكنها ماتت بعد ذلك بشهور قليلة متأثرة بالجوع والعرى • وسقط أبوه أسيرا فى أيدى الفرنسيين ، ولما خرج من السجن ، ذهب ليعمل فى مكـــان بعيد ، فكان يأتى الى البيت مرة واحدة كل بضع سنوات • أما تروى فقد تكفل به عمه وشقيقه الاكبر وزوجة شقيقه •

وذات مرة ، قبل أن نتزوج ، وقع شجار بيننا •• مما جعله غاية فى الحزن • فقال لى : « اننى فقدت أمى وكنت لا آزال طفلا ، ومرت سنوات عدة لم أرى خلالها أبى سوى مرة واحدة ثم بعد ذلك رآيته لبضعة أيام • اننى أتشوق الى حياة عائلية • والآن ، فان معى حبيبة وهى تجعلنى أشعـر بالتعاسة عندما تغضب منى • ان أسرتك جاءت الى هنا ، قادمة من الشمال ، وأنا اضطررت الى مغادرة موطنى كوانج نام لكى احاول الحصول على رزقى هنا ، ان كلا منا يعانى من نفس المشاكل • أما وقد التقينا فينبغى أن يحب كلا منا الآخر ويكون طيبا معه وعطوفا نحوه » •

ولما بلغ تروى الخامسة عشرة من عمره ، ذهب الى دانانج مع أخيه الاكبر وهو يأمل فى أن يجد وسيلة يعول بها نفسه • ولما شعر بأنه لا يستطيع أن يعتمد على شقيقه وزوجة شقيقه بسبب فقرهما البالغ •• قرر الرحيل الى سايجون • وذهب الى المرفأ وصعد الى سفينة ستتجه الى سايجون • كان تروى قد كتب رسالة الى شقيقه وأسرته وطلب من أحد أصدقائه آن يسلمها له بعد رحيله • ولكن الصديق ذهب حاملا الرسالة الى شقيق تروى قبل أن تقلع السفينة • وهكذا ، بينما كان تروى يقف على سطح السفينة شـــاهد أخاه يندفع بسرعة تجاه رصيف المرسى •• فنزل تروى الى أسفل ليختفى فى عنبر السفينة • وشقيقه ينقل خطاه على الرصيف صائحا • « تروى •• تعالى الى البيت ! سوف نحاول أن نفعل شيئا معا ، زوجة أخيك وأنا ، ســـوف نرعاك ، لا ترحل ، سوف تموت فى الاماكن البعيدة •• يا اخى ! » وفى مخبئه بقاع السفينة •• كان تروى يبكى بمرارة • انه يحب اخاه كثيرا ، ولكنه لا يستطيع أن يحتمل آن يبقى معه ، هكذا •• بلا عمل ليكون عبئا على ظهره •• بينما الرجل له زوجة وأطفال كثيرون •• وارتفع صوت أخيه

من فوق الرصيف : « تروى ٠٠ عد لتعيش معنا ، سنتقاسم أى شىء نجده لنأكله ٠٠ يا أخى ! » ٠٠٠٠ وهكذا حتى أقلعت السفينة ٠

وكثيرا ما كان تروى يحدثنى عن هذه الصرخات اليائسة التى ما زالت تدوى فى أذنه وكيف هزت كيانه وحركت أعماقه ٠

الجوع ٠٠ واللعنات

لم تكن قد أتيحت له فرصة من قبل ليتعلم حرفة ٠٠ وعجز عن التعرف على مقر أبيه ٠٠ فلم يجد وسيلة يحصل بها على الرزق سوى أن يعمل سائقا لعربة يد ٠ ولكنه لم يعرف معالم ومسالك المدينة فى ذلك الوقت ٠ فكان يحمل زبائنه لمسافات طويلة مما يسبب سخطهم وتخفيض الاجر الذى يدفعونه له ٠ وكان يحدث أحيانا أن يتوقف السائق ــ تروى ــ ليسأل عن الطريق الذى يسير فيه ، فاذا كان الراكب منحرف المزاج فانه يصب اللعنات عــلى رأس السائق ويترك العربة ليستقل غيرها دون أن يدفع سنتا واحدا ٠٠ كان يقضى معظم لياليه بلا طعام ، وهذه الفترة من حياته مليئة بالصعاب ٠ وكمـا دل تروى . فان المرء قد يظن أن الاشخاص المسنين الذين لا يستطيعــــون القيام بمجهود شاق ، بحكم شيخوختهم ، هم وحدهم الذين يعجزون عن كسب الرزق ٠ ولكن ٠٠ كيف حدث هذا له ؟ لقد كان شابا وقويا ويكـــدح من الشروق الى الغروب ، ولكنه لم يحصل أبدا على ما يكفيه من الطعام ويسد رمقه ٠ واذا تلفت حوله رأى أناسا بلغوا من الثراء حدا يجعلهم لا يعرفون ماذا يفعلون بأموالهم ٠ خذ ، على سبيل المثال ، صاحب عربات اليد : ان العمل الوحيد الذى يؤديه هو وأسرته يقتصر على تحصيل الاموال من المساكين الذين يؤجرون لهم عرباتهم ، ومع ذلك فان لديهم الكثير من الطعام الوفير والكثير من الثياب ٠٠ ويشعرون ، فى نفس الوقت ، بأن لهم الحق فى اصــــدار الاوامر والصراخ فى وجوه سائقى العربات وتوجيه الاهانات لهم ٠

وانقضت فترة من الزمن ، ثم استطاع أحد أقربائه أن يجد له عملا كعامل كهربائى تحت التمرين ٠ واشتغل فى شركتين كان يحصل فى كل منهما على أجر رمزى هزيل ألقى به فى هاوية المجاعة ، ثم انتقل بعد ذلك الى ورشــة « نجوك آنه » حيث يظل يعمل فيها الى أن قبضوا عليه ٠ »

انتهت الفترة المحددة للجلوس تحت أشعة الشمس ، وأطلق الحارس حناجرهم لتعود نزيلات السجن الى الزنازين ٠ وكلما حانت فرصة ، بعــد ذلك ، كانت السجينات الأخريات يطلبن منى أن أخبرهم بالمزيد عن تروى ٠

كان يغلبنى الحياء عندما أتحدث عنه ، فقالت لى الأخت « ك » فى أحد الأيام :

« نحن الذين قذفوا بنا الى السجن لنواجه على الدوام هذه المعاملة السيئة • الشاذة نستمد الشجاعة من حياة ونضال هذه النماذج الطيبة من الرفاق الأخيار • ان التعرف على هذه النماذج يزودنا بقوة جديدة لمواجهة كل محنة ويعمق كراهيتنا للعدو • اننى أود سماع المزيد عن تروى وأن أتخذ مواقفه البطولية قدوة لى • لقد كتبت قصيدة عن الأخ دونج • وينبغى أن تكون لدينا فى السجون قصيدة عن الأخ تروى » •

الاعتراف أو الموت

وذات يوم جاءوا يستدعوننى لمقابلة بعض رجال البوليس :

ـ « أتريدين الذهاب لرؤية زوجك » ؟

وفى لمح البصر ، كان جوابى :

ـ أريد أن أراه فى كل وقت •

وقالوا :

ـ « هناك شرط واحد : قولى له أن يعترف » !

ولزمت الصمت • تحدثت معى الأخت « ك » أكثر من مرة عن حيل رجال البوليس وخدعهم • فهم يستخدمون الزوجة « اللينة » للتأثير على زوجها • ويحاولون الان أن يجربوا هذه الحيلة معى •

وفى سرعة فائقة أخذونى معهم فلم أجد الوقت لشراء أية فاكهة لتروى •

وكنت آمل أن أراه قد استعاد بعض قواه بعد فترة الراحه التى قضاها• ولكن عندما لقيته كان فى نفس الحالة التى شاهدته عليها فى زيارتى الأولى له : شاحب الوجه ، هزيلا ، اختفت أذنيه تحت شعره الذى أصبح طويلا جدا ، وعلى ذقنه يمتد ورم غير مستو ، والقذارة تلتصق بكل موضع فى جسمه على نحو مخيف • أمسك بى ، بيد برزت عروقها الزرقاء ، لكى أجلس :

ـ « اننى فى حالة طيبة ، وفى صحة جيدة » •

كان صدره عاريا ، وجسمه ملفوفا في قماش بلله العرق ، وشعره المنكوش يسقط على وجهه . وسويت له شعره بأصابعى ثم سألته : « هل تشعر بأى تحسن » ؟

وقبل أن يجيب على سؤالى ، حاول أحد رجال البوليس أن يدفعنى خارج الغرفة . ولكن تروى لا يزال ممسكا بذراعى . وبجذبة فجائية وحشية .. جرنى الرجل بعيدا عن تروى وقال له :

ـ « اعترف بجريمتك ، والا سأعود بك الى الادارة العامة للبوليس حيث تلقى المزيد من عمليات التعذيب . هل تستطيع أن تتحمل المزيد ؟ »

أجابه تروى :

ـ « لم أرتكب أية جريمة . مجرد شيء واحد أعترف به : اننى حاولت قتل ماكنمارا ولكننى لم أوفق فى ذلك » .

ـ « اذا لم تعترف ، سنعاملك معاملة خاصة ، فاذا حدث هذا ، لا تقل أننا قساة . اذا لم تفتح لنا صدرك وتفضى بمكنوناته ، فسوف تظل زوجتك فى السجن حتى تتعفن هناك » .

ظل تروى صامتا يحملق فى الرجل بنظرات التحدى . وقال الرجل فى غضب :

ـ « هذه هى المرة الاخيرة ، التى أستطيع أن افتح لك فيها أبواب الحرية لكى تخرج من السجن ، وأنت لا تزال ترفض . والفترة التى أمضيتها وراء هذا الباب المغلق لم تكف عن الافتراء على الحكومة وقذف المستشارين الامريكيين بالاوحال .. وجهاز التسجيل التقط كل شيء قلته لرفاقك هنا . هل تريد أن أدير الشريط لكى أعيد على أسماعك كل ما قلته؟ انك حاولت قتل وزير الدفاع الامريكى ، والان تهجمت على الجيش الوطنى ، بل لقد طعنت فى شخص رئيس الحكومة ! »

ـ « اننى لم أخف مشاعرى فى يوم من الايام ، وكنت أذكر الحقيقة الكاملة على الدوام . انك جئت بصحف تكيل المديح للمستشارين الامريكيين وتسبح بحمدهم وتطلق عليهم أصدقاء الشعب الفيتنامى ، وقد مزقت هذه الصحف لأننى أعتقد أنها لا تنشر سوى الاكاذيب ، وأشعر بأن واجبى أن أجعل كل شخص يقرأ هذه الصحف يدرك أن المستشارين الامريكيين هم الاعداء الالداء للشعب الفيتنامى وانه يجب تحطيمهم حتى آخر رجل .

وفتح الرجل الملف الذى يحمله ، وكان يحتوى على أوراق طلب من تروى أن يوقع عليها • وأخذ الرجل يتلو ما تتضمنه هـــذه الاوراق ، ثم قال :

ـ « عليك أن تذكر لنا ، بالدقة ، عدد النقود التى حصلت عليها من الفيت كونج لتقوم بهذا العمل » •

كان تروى لا يزال راقدا على فراشه ، ولكنه رفع رأســه قليلا وهو يجيب :

ـ « اننى لم أعارض الامريكيين من أجل الحصول على نقود ، ولكن لانى أريد قتلهم ، وكل ما قمت به كان يستهدف تحرير فيتنام الجنوبية وتخليصها من القهر • هذا هو كل ما فى الأمر •

واتجه الرجل ناحيتى :

ـ « قولى لزوجك أن يعترف ، فاذا لم يفعل فانه سوف يموت » •

ـ « اننى لا أعرف أى شىء عن نشاطه ، فمــا الذى سأطلب منه أن يعترف به ؟ »

وتروى •• راقد على فراشه ، ذراعاه فى جبينه ، جامد الوجـــه •• رزينا ، يتجاهل تماما كل ما حوله • وقال الرجل :

ـ « أنت هو الشخص الذى كان يريد نسف جسر كونج لى » •

ـ « كان هدفى قتل ماكنمارا ، وزير الدفاع الامريكى » •

ـ « انك قفزت من النافذة لتقتل نفسك وتضيع كل مفاتيح القضية وكل أثر أو دليل يلقى ضوءا على الحادث ، أليس كذلك » ؟

ـ « لا يوجد أناس من أمثالى يفكرون فى الانتحار • قفزت من النافذة لأعيش •• وأواصل محاولاتى لقتل المعتدين الامريكيين • ولو كنت قد لقيت مصرعى وأنـــا ألقى بنفسى من النافذة ، لكان ذلك حـــــادث بمحض الصدفة » •

وواصل رجال آخرون التحقيق معه والقاء الاسئلة ووصف العمل الذى قام به ودوافعه بأقبح النعوت • كان هدفهم تشويه محاولته البطولية التى حازت اعجاب شباب سايجون ، وخاصة الطلبة • واجلسوه على فراشــــه وحاولوا ارغامه على توقيع مجموعة من الاوراق المحشوة بالاكاذيب • قرأ تروى

هذه الاوراق وأخذ يشطب كل سطر فيها ، والنتيجة ·· وبجرة قلم رسم خطين متقاطعين بطول الصفحة · ثم قذف بالقلم فى وجوعهم ورقد على الفراش ·

ولما أخفقوا فى ارهابه ، أخذوا يهددونه بتعذيبه بصورة أكثر وحشية · ودفعونى الى الباب وحالوا بينى وبين أن أقول كلمة واحدة لتروى · وبعـــد خروجى توقفت عن السير وبكيت ، ثم حاولت الجرى عائدة الى زوجى .فأمسك جنديان بذراعى وجرونى جرا الى السيارة ·

وعندما رجعت الى الزنزانة التفت حولى صديقاتى السجينات ·

حاولت كل من « أ » و « ى » أن تسرى عنى · وفيما بعد ، عنـــدما كانت الفتاتان تريان عينى تغرورقان بالدموع ، كانت تحاون سرد القصص لكى أنسى احزانى أو تطلبان منى أن أقوم بهذا العمل أو ذاك · وكنت قد انتهيت لتوى من صنع كيسين لوسادتين لونهما آبيض ناصع كالثلج ،فعلمتنى الأخت « ى » كيف أقوم بتطريز الزهور على نسيجهما وكتابة اسم تروى واسمى ·

ورغم أن يديها لا زالتا متورمتين من أثر التعذيب بغرس المسامير تحت الاظافر ، فانها كانت تتناول الابرة ، فى أغلب الاحيان ، لكى ترشدنى الى كيفية حياكة الاجزاء الصعبة ·

قالت : « عندما ينتهى تطريز كيسى الوسادة ، خذيهما الى زوجـــك وقولى له انهما هدية الزواج من رفيقاتى فى الزنزانة رقم ٤ · ورغم أن الهدية تأخرت عن موعدها بعض الشيء فاننا نرجو أن يقبلها » · وبينما نواصـــل عملنا ، كنا نغنى بصوت خافت أغنية « فلنصنع الثياب لمناضلينا » ·· وكانت هذه هى الاغنية المحببة الى قلب الاخت « ى » ·

الصغير « دان »

وصل سجين جديد · طفل صغير جدا فى الرابعة من عمره · قبضـــوا عليه مع جدته · صدره مستدير ، وذراعاه سمينتان ، ويبدو عليه أنه ينحدر من أسرة من الفلاحين · تركه الحراس يتجول بحرية فى فناء السجن · أما جدته فوضعوها فى زنزانة تبعد قليلا عن زنزانتى · وأخذ الطفل يمر على جميع الزنازين يختلس النظر فى داخل كل واحدة منها بفضول ·

وأحيانا ، كان يجرى مبهور الانفاس وراء الطيور التى تهبط أسرابهـــا

فى الفناء وهو ينادينا لكى نساعده على الامساك بها • وفى يوم مر أمامنا أحد الحراس راكبا دراجته • فصرخ الطفل فى وجهه •• « هيه ، لماذا تستخدم دراجة العم تروى ؟ ردها اليه والا أخبرت العم بذلك » •

وحملتنا براعته وسذاجته على أن نغرق فى الضحك • وربما كان له عم يدعى تروى • وذات مرة تفوه باسمى وطلب رؤيتى ، فدلوه على الزنزانة رقم ٤ ، وجاء ثم نطق اسمى « عمتى كويان » • وفوجئت بأنه يعرف اسمى •

ولذا سألته : « ماذا تريد أيها الولد الصغير ؟ اننى العمة كويان » •

أمسك برتقالة فى يده وقال فى وضوح تام : « الاعمام طلبوا منى أن أقدم اليك هذه البرتقالة ، ويسألون •• هل أنت بخير ؟ »

مددت يدى من خلال القضبان ، كنت أريد تقشير البرتقالة لكى يأكلها ، ولكنه هز رأسه علامة الرفض وقال : ــ « الاعمام قدموا لى الكثير من البرتقال» وسألته ، وأنا ما زلت أقبض على يده الممتلئة : « ما اسمك »

ــ « دان » ••

ــ حسنا يا دان ، اذهب وقل للاعمام ان العمة كويان بخير وتشكركم كثيرا ••

ــ « حاضر يا عمتى » • قالها بصوت واضح ومرتفع ثم أخذ يجرى تجاه عنبر الرجال •• كان طفلا غاية فى الذكاء • سرعان ما عرف طريقه فى مسالك السجن كله • وتعلم كيف يحرص على أن يتجنب رؤية الحراس له ، وهو يخفى يديه خلف ظهره ، وهو ينتقل من زنزانة الى أخرى •• يؤدى بعض الخدمات ويحمل طعاما الى السجناء الذين هزلت أجسامهم من جراء التعذيب• وكثيرا ما كان ينقل السجائر الى « لوى » ، الذى وصل الى السجن أخيرا ، ووضعوه فى زنزانة تبعد عن زنزانتى بحوالى اثنتى عشرة ياردة • وبينما كنت أقوم بدورى فى فرقة العمل (١) ، جاء رجل يحمل الصغير دان بين ذراعيه وسألنى : « ما هذا ، ألا تعرفينه ؟ ان الصغير دان يعرف زوجك ويسأل عنه مرارا • انهم ألقوا به فى السجن مع جدته لأن الشبهات ثارت حول ارتباط أسرته بنشاط تروى » •

---

(١) كانت سلطات السجن تسخر المسجونين والمسجونات للقيام بأعمال متنوعة « المترجم » •

ثم تحول الى الطفل وقال له : « هذه هى العمة كويان ، زوجـــة العم تروى • قل لها صباح الخير » • وطوى الطفل ذراعيه وضمهما على صدره علامة الاحترام وقال فى أدب شديد : « صباح الخير ، أيتها العمة كويان » وأجلسته فوق ركبتى وسألته :

— « اذن ، فأنت تعرف العم تروى ؟ أتعرفه حقا ؟ أومأ برأسه :

— « نعم ، كان كثيرا ما يأتى معه بالحلوى ليعطيها لى ، كان يأتى الى منزلنا على دراجته » •

— « هل تعرف أين يوجد الان العم تروى » ؟

— « أرسلوه الى السجن » •

وانفجرت باكية وجعلت أضم الصغير دان الى صـــدرى •• والذين لم يتبينوا حقيقة الامر ظنوا ، عندما رأوا هذا المشهد •• أن آما التقت بطفلها بعد فراق باعد بينهما زمنا طويلا •

كان الطفل يتذكر تروى جيدا ، ويشعر نحوه بحب عميق • وهكذا ، خيل اليه بالفعل أن الحارس يركب دراجة زوجى ، وكان يريد منه أن يعيدها الى صاحبها •

وأخبرنى سجين ، وصل الى السجن بعد ذلك بأيام ، أن تروى كان يحب الطفل كثيرا ، وانه عندما كان دان فى الشهر السادس من عمره ، ألقوا القبض على والدته ، وظلوا يضربونها حتى لفظت انفاسها لأنها رفضت تقديم التحية لعلم الحكومة و « التبليغ عن الشيوعيين » ، وكان على أبيه أن يقوم بعمل شاق ليحصل على الرزق ، ولم يكن يجد الفرصة ليرعاه أو فسحـــة من الوقت ليعتنى بأمره • وشعر تروى بالاسى لما صار اليه حال هذا الطفـــل •• فدأب على زيارته واهدائه بكميات من الحلوى والقيام بمهمة استحمـــام الطفل • وكثيرا ما كانت جدته تردد القول بأن « دان يفكر فى تروى أكثر مما يفكر فى أبيه » وهدانى التفكير الى انه ينبغى أن أحل محل تروى فى العناية بالطفل •

لقد خفف هذا الطفل عن أحزانى فى تلك الايام التى قضيتهـــا فى السجن • لم يكف عن الكلام طوال النهار ، وكان يلقى بمئات الاسئلـــة ، وعندما يغضب منى كان يمط شفتيه ويقول « سأخبر العم تروى بذلك » وفى كل مرة أقدم اليه بعض الفاكهة أو الحلوى . كنت أقول له : « هذه هدية

العم تروى الى الصغير دان » ، وعندئذ يتألق بشرا ويتهلل سرورا ويسألنى : « متى يعود العم تروى » ؟ وفى بعض الامسيات كان صوته يدوى من داخل زنزانة جدته : « عمتى كويان ، هل تفتقدين العم تروى » ؟ وهنا تنطلق الضحكات من الجميع ويطالبونه بأن ينام على الفور . ولما كان السجناء الآخرون يسمعون الطفل يتحدث طوال الوقت عن تروى فقد قال بعضهم فى دعابة خفيفة : « لو ان تروى كان له ابنا مثل دان ، كم كان سيحبه » !

وكان هذا القول يذكرنى بأمنية تروى فى آن يكون له ابنا . فقد قال لى يوما انه يتطلع لكى يكون له ابنا « وليس ذلك لانى أكره البنات ، ولكنى على أية حال أحب أن يكون طفلنا الاول ولدا » .

كنت أتحرق شوقا لأن أرى زوجى مرة ثانية ، فاذا تحقق لى ذلك فسأحاول أن أصحب معى الصغير دان لزيارته ، ولا شك ان ذلك سوف يسره كثيرا .

فى ساحة الاعدام

كتب « تران دينه فان » يقول :

هذا المساء ، لم تستطع الأخت كويان أن تركز تفكيرها فى الرواية التى تقصها على مسمعى . ظلت تنظر الى ساعتها .. ثم انطلق صوت امرأة من الشقة المجاورة .. يدوى فى المكان : « كويان ، لقد حان الوقت » !

كان جميع السكان ، فى هذه الانحاء ، قد سمعوا ما أعلنه راديو هانوى فى الليلة الماضية : هذا المساء ، فى الساعة الثامنة والنصف ، سوف تبدأ اذاعة النص الكامل لقصة فيلم « نيرين فان تروى سوف يعيش الى الأبد » الذى يعرض الآن فى الشمال .

ومنذ الدقيقة الأولى شعرنا ، ونحن نستمع الى القصة ، بأننا نشاهد الفيلم ذاته ، وبأننا نتابع خطوات تروى وهو يسير متجها الى ساحة الاعدام . وها هو صوت المذيع الذى يروى القصة .. يلتهب بالانفعال فى هذا الموضع من القصة ، ويهتز بالحقد فى موضع آخر ، فينقلنا معه خلال المشاهد المختلفة :

تروى تحدث الى الصحفيين ، وقف فى مواجهة رقعة من النباتات الخضراء ، مزق العصابة التى كانت تغطى عينيه ..

وهذا ، جهاز الراديو الترانزستور بين ذراعى كويان ، لا تفوتها كلمة أو نأمة تخرج من المذياع ، وتحاول بمشقة أن تضبط شعورها ، بينما الدموع تسيل على خديها ·· وتسمع بين الحين والحين صوت نشيج ينبعث من وسط وفد نساء سايجون ·

ثم تغير المنظر على شاشة الفيلم : سكان العاصمة يقومون بالمظاهرات ليل نهار ، الشوارع تتقد بالمشاعل ، مصنع الطاقة الكهربائية فى هانوى يقرر اعتبار تروى عاملا فخريا للمصنع ، صورة ضخمة لتروى توضع فى أعلى مثان فى مصانع تاى ونيوين للحديد والصلب ، احتفل بذكراه فصل دراسى فى ··

« انه لا يزال يعيش : فى كافة أنحاء الشمال ·· صورته فى كل مكان، فى الغابات والجبال والجزر ·· فى البر والبحر ·· »

ويصاحب صوت هدير أمواج ترتطم بجانبى سفينة ·· صوت المعلــق وهو يدعونا لنرافقه فى رحلة « مع تروى » فى زورق للداورية يسهر عــلى حراسة شاطىء وطننا ليلا ونهارا ·

فى بيت صغير ، بالمنطقة المحررة فى فيتنام الجنوبية ، كنا نحن الاثنى عشر شخصا نصغى الى الراديو ونصحب المعلق فى رحلته ·

ومن جميع أجهزة الراديو فى البيوت المجاورة (فالمنطقة كلها مخصصة لتكون مقرا لمؤتمر نساء فيتنام الجنوبية) تردد ذلك الصوت ذو النغم الخافت الذى يخنقه الانفعال ·· انه صوت الشاعر « تو هوو » يتلو قصـــــيدته « تذكروا كلماتى » التى كانت خاتمة البرنامج ·

وما كاد يطفأ الراديو ، حتى بدأت مناقشة حية وسط وفد نســــاء سايجون · كل امرأة تريد أن تقول ما عندها : « سكان الشمال يحبـــون تروى أكثر مما يحبون أبناء جلدتهم » ، « تروى يقوم بزيارة حقيقية ، الان ، للشمال » ، « تروى التحق بجيش الشمال » ، « انه الان فى البحرية ·· »

وقامت الأخت « و » ، وهى مدرسة ، بعرض مزيد من التفاصيل عن قصة موت تروى :

« ربما كان ، لديهم هناك فى الشمال ، مجرد فيلم قصـــير عن موت تروى · لقد قال شقيق أحد الصحفيين ، الذين حضروا فى « شى هوا » لحظة اعدام تروى ، لزملائه فى المدرسة أن بعض الصحفيين حاولوا تصوير عــدد

كبير من المشاهد لتروى ، وخاصة عندما كان يرد على أسئلتهم • وقد وجهت عصابة خان الامريكية الدعوة الى جمهور كبير من الصحفيين لحضور هـــذا المشهد •• كانت تتوقع أن ينهار تروى ويعترف بما ينسبونه اليه من جرائم عندما يقف وجها لوجه أمام فرقة الاعدام ولذلك فانها رأت من الافضل حضور عدد كبير من الصحفيين ليروا هذا المشهد • ووقف بعض المأجورين ورجـــال البوليس السرى على استعداد للايقاع به عن طريق توجيه أسئلة استفزازية له • ولكنهم ، ما كادوا يروه عند خروجه من زنزانة المحكوم عليه بالاعدام ، تحقق لديهم على الفور انهم لن يستطيعوا زحزحته عن موقفه •

وابتسم تروى في وجه الصحفيين • وشعر بعض الصحفيين بالفزع عندما حانت لحظة تنفيذ حكم الاعدام ، ولكن تروى ، نفسه ، كان هادئا •• تبدو عليه عزة النفس • أجاب على كل الاسئلة التي وجهها اليه الصحفيون •

وقد أعاد الطالب ، شقيق الصحفى الذى حدثتكم عنه ، ما قصه عليه شقيقه • قال تروى :

« أنتم صحفيون ، ويجب أن تكونوا على علم بما يجرى ، ان الامريكيين قاموا بعدوان على بلادنا ، وأخذوا يقتلون شعبنا بالطائرات والقنــــابل • وقد وضع ماكنمارا خطة كاملة لغزو فيتنام الجنوبية ، انني أحب وطني حبا لانهائيا ، ولم أكن أن أدع الامريكيين يدنسون أرضنا • أبدا ، لم أتخذ موقفا ضد شعبي في يوم من الايام ، انني ضد الامريكيين أردت القضاء على ماكنمارا فهو علة الجرائم الكثيرة التي ترتكب في فيتنام الجنوبية •• ؟

وسأله أحد الصحفيين :

« قبل أن تموت ، هل تشعر بالاسف على شيء ما ؟ »

ورد عليه في الحال :

ـ « أسفي الوحيد ، هو انني لم أوفق في قتل ماكنمارا » •

وعندما أراد أحد الكهنة الكاثوليك أن يمنحه الغفران ، رفض ذلك ، وقال : « انني لم أذنب ، ان الامريكيين هم الذين أذنبوا » وحتى الدقيقـــة الاخيرة من حياته ، أثار دهشة جميع الحاضرين •

ورغم أن مجموعة الطلقات النارية الأولى التي أطلقتها فصيلة الاعدام كانت اخترقت صدره بالفعل •• كان لا يزال يردد :

« عاشت فيتنام » !

ولم يستطع بعض الصحفيين أن يمنعوا أنفسهم من البكاء • لم يصدقوا أن رجلا يمكن أن يواجه الموت وهو غاية فى الهدوء •• كما كان حال تروى ، لم يصدقوا أن انسانا يمكن أن يحب بلاده •• الى هذا الحد •

فعندما مزق تروى العصابة التى وضعوها فوق عينيه ، كان يقول : « لا! دعونى ألقى نظرة على هذه الارض ، أرضى الحبيبة ! »

وقالت المدرسة :

لسنوات عدة ، دأب الرجعيون على تسميم عقول هؤلاء الناس ، محاولين اقناعهم بأن « الشيوعيين لا وطن لهم » ، أما الآن فان بعض الصحفيين أدركوا الحقيقة : لا يوجد من يحب الوطن الفيتنامى كما يحبه الشيوعيون ، انهم يشعرون بالحب نحو أرض وطنهم حتى النفس الاخير • وحتى النفس الاخير ، ظل تروى يقاتل بحزم •

وجميع الصحف التى تحمل خبر اعدامه نفذت أعدادها ، وبيعت كل نسخة من صحيفة « دان شوموى » (الديمقراطية الجديدة) فقد أراد الناس أن يقرأوا التفاصيل التى وردت فيها •• بما فى ذلك ما نشرته عن هتاف تروى الذى تردد ثلاث مرات :

« عاش هوشى منه » !

نحن الآن فى الهزيع الأخير من الليل وما زالت المندوبات من رفيقات كويان يتحدثن عن تفاصيل الاستشهاد البطولى لزوجها ، وآعربن عن رغبتهن فى اخراج فيلم سينمائى يصور حياته كاملة • ولم تستطع « كويان » الاسترسال فى حديثها معى حول تروى • لقد وعدت بمواصلة الحديث فى الأمسية التالية •

لا تبكى أمام العدو

أقبل صباح جديد ، وكلفت بمهمة غلى مياه الشرب لفرقة من المسجونين الرجال الذين يقومون ببناء عنبر جديد فى السجن • وفجأة زعق أحد رجال البوليس : « نان تى كويان ، اتجهى فورا الى ادارة السجن ومعك كل حاجياتك » •

كنت أتوقع ما يمكن أن يحدث لى • فعندما يأمرون المسجونين بالذهاب الى ادارة السجن ، على هذا النحو ، كانوا يرسلونهم الى المنفى السحيق •

السجناء الذين يعملون فى أنحاء المكان ، يقطعون أسيـاخ الحديد أو يحملون قوالب الطوب والملاط .. تركوا عملهم والتفوا حولى . كل منهـم يقول عبارة يخفف بها عنى . قالوا لى ان واجبى فى أى مكان يرسلوننى اليه أن أحاول أن أكون جديرة بزوجى الذى اتخذ موقف المناضل الشجاع .

كانت أمنيتى الوحيدة ، فى تلك اللحظة ، أن يقال لتروى ما جرى لى حتى لا ينتابه القلق اذا لم أذهب لرؤيته .

كانوا يشعرون باحترام كبير لتروى ويتعاطفون معى ، بينهم أشخاص من الشمال اما عاجز ومصاب أو فى حالة صحية سيئة . كثيرون منهم دخلوا جميع أنواع السجون : ب-٤٢٠ ، لى فان دويت ، فو نوى ، بين هوا ، ثو دواو جيا دين ، وذلك قبل مجيئهم الى هذا السجن الذى يتبع ادارة الأمن العام .

وعندما ذهبت لأحمل معى حاجياتى من عنبر سجن النساء ، كان كـل امرىء قد عرف اننى ، وعدد قليل آخر ، بينهم الصغير دان وجدته .. سنبدأ رحلتنا الى المنفى . جاءوا الى بمختلف الهدايا : ملابس وصابون ومناشف وطعام يخففوا مما ساعانيه فى سجنى الجديد . والجميع يسألوننى الكف عن النحيب ولكن عيونهم كانت تملؤها الدموع ..

وها هى أستاذتى فى الموسيقى والتطريز الأخت « دى » تقدم لى نصيحة مختصرة للغاية : « ليكن غنائك أكثر من بكائك ، واذا كان لا مفر من البكاء فلا تفعلى ذلك أمام العدو » .

وفى الدقائق القليلة الباقية ، عدت أكرر على السجينـات ما قلته للمسجونين . وعندما خرجت الى فناء السجن أمسك بيد الصغير دان ، سمعت صوت الأخت « ك » تدعونى لكى أقترب منها ثانية . لقد شعرت بأن من الضرورى أن تقول لى مرة أخرى :

ـ « تذكرى ، أنهم غالبا ما يستغلون ضعف الزوجة فى الضغط علـى زوجها ، كونى يقظة ، لا تسقطى فى المصيدة التى يعدونها لك حتى لاتصبحى عبئا يثقل كاهل تروى » .

ما وقع بعد ذلك كان مفاجأة تامة .

فبعد ساعة من الانتظار فى مكتب ادارة السجن أطلقوا سراح ثلاثة من بيننا : الصغير دان وجدته وأنا . لم يذكروا سببا لذلك . كنت أود أن أنقل

هذا الخبر الى هؤلاء الذين تركتهم خلف الأسوار ، ولكن الحراس لم يسمحوا لى بذلك •

عينان وراء الباب

عدت الى عملى فى تعبئة القطن الطبى • كنت أشتغل ساعات عمل اضافية عند الظهر وفى الليل حتى أتمكن من شراء بعض الطعام لأحمله معى ، من وقت لآخر الى تروى ، وحتى أتمكن من سداد نفقات زواجنا •

كانوا قد نقلوه الى مستشفى آخر يدعى شوكران ، حيث توجد قواعد صارمة للغاية لنظام زيارات المسجونين الذين يعالجون هناك ، وخاصة اذا كانوا ما زالوا « تحت التحقيق » •• أى لم يقدموا للمحاكمة بعد •

فى كل مرة أذهب لزيارة تروى لم أكن الشخص الوحيد الذى يبكى بمرارة • فقد كانت الدموع تجرى على وجوه هؤلاء الذين يزورون أقاربهم من المسجونين المرضى فى شوكران لأن المعاملة التى كان يلقاها المسجونون هناك لا يمكن وصفها سوى بأنها معاملة همجية بالفعل •

وفى العادة كانت زياراتى تتم على هذا النحو :

أقف عند بوابة المستشفى أحاول اختلاس النظرات الى الفناء الداخلى عبر ثقب فى الباب • وتروى يقف خلف جدار تعلوه قضبان حديدية يبعد عنى مسافة خمسة عشر ياردة • أستطيع رؤية النصف العلوى من جسم تروى ، أما هو فلا يستطيع أن يرى شيئا منى سوى العينين • ويجب أن يدوى صراخى حتى يتعرف تروى على وجودى أمام بوابة المستشفى • وثمة عشرات من الأشخاص يتناوبون الوقوف عند ثقب الباب لكى يفوزوا بلمحة سريعة لأحبائهم ، ولا يكاد المرء يجد الوقت الكافى لكى يحدد مكان الزوج أو الابن خلف الجدار المقابل بينما يتدافع آخرون ويتزاحمون للوقوف أمام ثقب الباب •

وعندما ذهبت لأول مرة ، وقفت انتظر الى جانب الباب الحديدى ، كانت ثمة امرأة هناك •• قالت موجهة حديثها لى وللآخرين :

— •• « طوال أربع سنين ، وأنا أبحث هنا وهناك حتى عرفت فى النهاية أن زوجى مسجون فى هذا المكان • وعندما جئت الى هذا الباب آخر مرة كان ابنى فقط هو الذى حاول أن يلقى نظرة على أبيه •• أرجوكم أن تسمحوا لى بأن أطل من الثقب للحظة أخرى حيث أننى يجب أن أعود الى هوى سون » •

ففى المرة السابقة ، ألقى ابنها ــ وهو فى الثامنة من عمره ــ نظرة سريعة على أبيه ، ثم حاول أن ينسل الى داخل الفناء فى اثر أحد رجال البوليس ، فامسكوا به وضربوه ثم ألقوا به خارج البوابة •

وتوجد بوابة صغيرة ، بجانب البوابة الكبيرة ، ليدخل ويخرج منهـــا رجال البوليس • ويجرى تسليم الطعام الذى يحملـــه الزوار الى المرضى المسجونين عند هذه البوابة الصغيرة •

وفى مرة ، حاولت ان أستغل الوقت الذى استغرقه تناول حارس البوابة للطرد الذى أحمله لتروى ، لكى أبقى على الباب مفتـــوحا لمدة دقيقـــة أو دقيقتين •

كاد تروى يجن سرورا عندما رآنى • صاح قائلا :

ــ « لقد أفرجوا عنك •• أليس كذلك ؟ »

ــ نعم •

ــ كيف حالك ؟

ــ اننى بخير •

وسار يتوكأ على عكازيه الى النافذة ومد يده خارج قضبانها الحديدية يلوح لى ، ولكن الباب صفق فى وجهى قبل أن أتمكن من توجيه كلمة أخرى اليـــه •

وجريت بسرعة الى البوابة الكبيرة أحاول أن أراه • كان لا يزال يقبض بيديه على القضبان الحديدية •• ونظرة حائرة فى عينيه • ناديته ورفعت دراعى داحل الثقب ولوحت له بيدى • أطلق الحارس فى داخل الفناء صرخة هائلة أعقبتها الشتائم وقذف يدى بقطعة حجر ، ولكنه اخطأ الهدف لحسن الحظ ، فسقط الحجر يدوى فوق البوابة •

وها هو زوجى ، الاشفاق يمزق قلبه • ويصرخ :

ــ « كويان ، يا عزيزتى ، تعالى مرة واحدة كل أســـــبوعين ، أنت لا تستطيعين ان تواصلى زيارتى عدة مرات فى الاسبوع كما تفعلين الان ، ففى كل مرة تواجهين مثل هذه المحنة ، هل تسمعين يا كويان » ؟

قلت وأنا أمنع نفسى من أن أنفجر فى البكاء :

ـ « حتى اذا كان الامر أفظع من ذلك عشر مرات ، فسأظل أزورك ٠ لا تقلق بشأني ٠٠ أيها العزيز » ٠

استمرت محاولتي لكي أحمل الى تروى القدر الكافي من الطعام مهما كلفني ذلك ٠ ذلك ان المرضى المسجونين في مستشفى شوكوان ٠٠ مقضى عليهم بالموت البطيء ٠ فالطعام الذى يقدمونه لهم غاية في القذارة ، بل ان المسجونين يوضعون في زنازين مشتركة مع أفراد مصابين بأمراض معدية مثل السل والجذام ٠ أردت مساعدة تروى على أن يسترد صحته لكي تتوفر فرصة طيبة للنجاح في محاولته الثالثة للهرب ٠

وعند بوابة السجن ، وقفت نساء كثيرات تحكي كل واحدة منهن للاخرى عن مصيبتها ٠ وخرج أحد رجال البوليس من عربته ليقول لواحدة منهن :

ـ « أنت هنا مرة أخرى ! حيثما ذهبت أجدك في طريقي ٠ هل ابنتك مريضة تفلوها الى هنا ؟ » ٠

استدارت المرأة وحملقت في وجهه ببرود دون أن تنطق حرفا ٠ انها العمة « م » التي تعرفت بها منذ بضعة أيام فقط في هذا المكان ٠٠ حدث لقائي الاول معها يوم الاربعاء الماضي ، كان المطر يتساقط بغزارة في ذلك اليوم وتعلقت بالبوابة لكي أتطلع من الثقب المربع الصغير الى تروى فلم أستطع رؤيته بوضوح وسط رذاذ المطر ، حاولت أن أناديه ، ولكن جلبة المياه المنهمرة أضاعت صوتي وأصبح جسمي كله مبتلا ٠ واستندت الى البوابة في يأس وأخذت في البكاء ، ووضع شخص ما معطفا واقيا من المطر فوق كتفي وشدني الى بقعة تقع تحت افريز سطح مبنى مجاور ٠ كان هذا الشخص هو العمة « م » ٠ وعندما علمت أنني زوجة تروى أخذت تعانقني وتقول : « كان لا بد أن أستنتج ذلك من قبل ، وقد شاهدتك في أنحاء هذا المكان عدة مرات » ٠

والآن يقول لها رجل البوليس الذى وقفت تنظر اليه في جفاء :

ـ « لقد قلت لك من قبل : يكفي أن تقنعي ابنتك بأن تؤدى التحية للعلم ، ولو مرة واحدة ، وبالاعتراف بأن الشيوعيين هم عصبة من الارهابيين وعندئذ سيطلق سراحها على الفور ٠ ان أنفاسك تنقطع وأنت تلهثين وراءها لأربعة سنين أو خمس تذهبين في اثرها من سجن الى آخر لتعنى بأمرها وتجعلين من نفسك مثالا للتعاسة » ٠

قالت العمة « م » :

ـ انها ابنتى وقد أنجبتها ولذلك فواجبى هو العناية بها • وسواء أدت التحية للعلم أم لا ، وسواء اعتبرت الشيوعيين طيبين ام أشرارا فهذا الأمر متروك لها ولا استطيع أن أفرض عليها رأيا •

وفى المرة العاشرة التى ذهبت فيها لرؤية تروى فى مستشفى شوكوان ، لم يكن هناك • قال حارس البوابة بعبارات مبهمة :

ـ « ان صحة زوجك قد تحسنت ، وقد أعيد الى السجن » •

الدقائق العشر الثمينة

حدث ما كنت أتوقعه • نقلوا تروى الى زنازين السجن الذى عشت فيه فترة من الزمن •

الأخت « ك » نجحت فى الهرب من هذا السجن لكى تقص على ، فيما بعد ، هذه الحكاية التى تدور حول « تروى » :

« فى صباح اليوم الرابع من أغسطس ، بينما كان المسجونون ينتشرون فى فناء السجن ، يقومون بالعمل المطلوب منهم ، جاءت احدى عربات المستشفى ووقفت فى مواجهة عنبر النساء • ولم يكد يفتح باب العربة حتى انطلق من داخلها صوت قوى : « أستطيع السير بنفسى » • ثم رأينا سجينا يتحى جانبا اثنين من رجال البوليس ، ولكنه لم يستطع السير • رأيناه يزحف على أرض العربة يجر ساقه التى تلتف حولها الضمادات • كان يرتدى سروالا قصيرا وقميصا رماديا • وعندما رفع وجهه عرفته فى الحال • هنا تعالى صياحى : « انه تروى •• لقد عاد » ! اندفعت النساء السجينات •• جميعهن الى الشرفة، رغم أن الاوامر تحرم ذلك • شاعت البهجة فى قلوب الجميع • أخذوا يرددون: « ها هو زوج كويان ، لقد عاد تروى » • سرت هذه الانباء فى كافة الزنازين• دوت صيحات الفرح يحملها رجع الصدى من الزنازين البعيدة : « عاد الأخ تروى » ، أسرع المسجونون الرجال ، على عجل ، الى المكان •• والعرق يسيل على أجسادهم • انهم يتلهفون على رؤية القادم الجديد •• أذرعتهم وسيقانهم تخشبت بفعل القذارة والملاط • التفوا حول العربة ، وأخذوا يسألون فى انفعال « أين تروى » ؟ فى تلك اللحظة . كان تروى قد وصل ، بعد جهد ، الى باب العربة ، وفى الحال يحنى اثنى عشر رجلا ظهورهم الى الامام قليلا ويلتصقون بمؤخرة العربة • ويتقدم تروى خطوة ثم يحيط بذراعيه جسم أحد السجناء ويسند رأسه على وجنة رفيقه • والمسجونون يسندون جسمه وساقيه•

حدث هذا كله بسرعة فائقة • الجنود أخذوا على غرة • ولما أفاقوا من المفاجأة، أطلقوا الصرخات والشتائم « ابتعدوا ! من الذى سمح لكم بالاقتراب من هذا الوغد ؟ » وحاولوا انتزاع تروى من بين أيدى أصدقائه ، ولكن جهودهم ضاعت سدى •

نحن النساء السجينات ، التصقنا بالنوافذ ذات القضبان الحديديةلنصرخ فى وجوههم : « أيها الخنازير ، كيف تجسرون على أن تسيئوا معاملة رجل مصاب ، هذه أعمال همجية •• همجية » !

التف السجناء حول تروى وساروا معه الى المبنى رقم « ت » ، الذى يساق اليه كل سجين جديد لدى وصوله الى السجن ليقدم فيه أوراقه ، ولم يتركه زملاؤه الا بعد أن ساعدوه على الاسترخاء بطريقة مريحة ، ثم قفلوا عائدين ليواصلوا تأدية أعمال السخرة •

وفى الصباح التالى ، الخامس من أغسطس آخرجوا تروى من زنزانته فى التاسعة صباحا للذهاب به الى المحكمة ، فقد كانت تجرى محاكمته فى ذلك الوقت • أخذ ينقل خطاه فى صعوبة بالغة وهو يستند الى ذراع صـــديقه « لوى » متجها الى الطرف الذى ينتهى عنده مبنى عنبر النساء حيث جلس ينتظر وصول العربة التى ستقله الى المحكمة • »

توقفت الأخت « ك » عن الحديث ، ثم انتقلت الى تفاصيل ما أسمتـــه « الدقائق العشر الثمينة » فى حياتها ، عندما جلست على مقربة من تروى :

« لم تكن المسافة التى تفصل بينى وبينه تتجاوز ثلاث ياردات • لا شك أنك تذكرين معالم السجن ، أليس كذلك ؟ ان عنبر النساء يقوم فى مواجهة المكتب الصغير للحارس الذى يشرف على دخول وخروج عربات السجن • تروى يجلس على مقعد بجوار المكتب ويرتدى قميصا رماديا وسراويل زرقاء • شعره منسق بعناية • لم يكن على نفس الدرجة من الهزال الشديد كما كان حاله عندما رأيته بعد خروجك من السجن وزيارتك له فى المستشفى • لم يبتسم ولكنه تطلع الينا ، ولمع بريق فى عينيه • حال الجنود بيننا وبين الاقتراب منه أكثر من ذلك • حاولوا ارغامنا على مغادرة المكان بتهديدنا بالضرب • ولكننا جلسنا على الارض فى هدوء • كان عددنا يزيد على اثنتى عشر سجينة •رفضنا أن نتزحزح من أماكننا •

استدار تروى قليلا وجلس فى مواجهة عنبر المسجونات • ثمة اشراق يضىء فى عينيه • خيل الينا أنه يريد أن يبتسم ويقول لنا شيئا • دار الهمس

بيننا ، تحاول كل واحدة أن تذكر الاخرى برسالتك التي يجب أن ننقلهـــا اليه ، ولكننا لم نستطع أن نفعل ، فقد وقف اربعة جنود حوله لحراسته . ثلاثة منهم لم يتحركوا قيد أنملة بعيدا عنه ولو لمدة ثانية واحدة . ربمـــا تذكرين هؤلاء الجنود : انهم جياب ولوك وتام هيو . لم يكن قد مضى عـــلى وصول تروى الى المكان ، انتظارا للعربة أكثر من دقيقة أو دقيقتين ، عنـــدما تحرك ذلك الوغد صاحب الوجه الكالح البارز العظام المدعو لوك ليســـأله فى سخرية :

ـ « انك لا زلت شابا ، واننى أعرف أن زوجتك صغيرة السن وجميلة ، لقد تم عقد قرانكما منذ فترة قريبة .. فلماذا لا تفكر فى سعادتك الشخصية؟ لماذا تسمح لنفسك بأن تخدعك فيت كونج وتحملك على ارتكاب مثل هـــذه الجريمة » ؟ فى هذه اللحظة كانت نظرات تروى تتجه الينا ولكنه التفت الى الناحية الأخرى ليرد على الجندى وهو يقلب شفتيه فى تقزز :

ـ « أتقول جريمة ؟ ان التفكير فى مستقبلى هو الذى دفعنى الى هـــذا العمل . هل يمكن تسمية قتل المعتدين الامريكيين بأنه جريمة ؟ »

ـ « كيف تقول ان ما فعلته كان صوابا ؟ انك تعرج الان ، هذه هى نتائج أعمال الفيت كونج » .

ورفع تروى صوته ، هذه المرة ، وهو يركز نظراته فى وجه الجندى :

ـ « لم يخدعنى أحد ، اننى أكره المعتدين الامريكيين وأكره ماكنمارا .. الذى هو سبب كل هذا العذاب فى الجنوب . هذا ما جعلنى أحاول قتله » .

أما الجندى الذى اشتهر بسمعته السيئة فى سجن جيا دينه ، ويدعى جياب ، فانه جلس فى مواجهة تروى ليقول :

ـ « النتيجة واضحة لا تحتاج الى شرح . ان تصرفك لم يؤد الى شىء ، سوى انه جلب عليك الوبال . لقد كسرت ساقك ، ثم أنك فى السجن » .

واكتسى وجه تروى بالغضب . قبض على حافة المكتب وقال بصوت بطىء وهو يضغط على كل كلمة :

ـ « فلتسمعوا منى جميعا هذا الكلام: لقد فعلت ما كان ينبغى أن أفعله، حاولت قتل المعتدين ، ورغم ما ينطوى عليه هذا العمل من مخاطر .. وحتى اذا كان قد أصابنى جرح آو أصبحت مقعدا أو لقيت مصرعى ، فاننى سأشعر

بالسعادة رغم كل شيء • اننى لا أستطيع أن أعيش كهؤلاء المنافقين الذين يلحقون الاذى بمواطنيهم كثمن لحياة هادئة » •

رد عليه جياب وقد تحجر وجهه :

ـ « هل قلت •• منافقين » ؟

فأومأ تروى برأسه • وأسرعت دقات قلوبنا • زمجر الجنــــود الذين وقفوا حوله كحيوانات مفترسة ، ولكنهم لم يستطيعوا تخويفه •

وهزنى هذا المثل للشجاعة وتأثرت به أكثر من أى وقت مضى • شعرت بالفخر لأنى أقف مع هذا الرجل فى نفس الصف ، ولأنى رفيقته •

انه ينهض قليلا فى ثبات تام ، يتلفت يمينا ويسارا ليرد بعنف على كل اعتداء جبان •

قال جياب بلهجة فظة : « حسنا » ، ولكننا لم نصادف محنة فى يوم من الأيام ، لدينا القدر الوفير من الطعام لنأكل • زوجاتنا وأطفالنا سعداء • أما أنت ، فاذا استمر حديثك بهذا الاسلوب دون ان تبدى أسفا فكيف تأمل فى التساهل معك ؟ »

ظهرت علامات التقزز على وجه تروى ، وهز رأسه ليقول :

ـ « لا أستطيع أن أعيش على طريقتك •• الواقع اننى لا أستطيع ، اننى لا أستطيع ، اننى افضل الموت على أن أعيش مثل هذه الحياة التى تحياها » •

ضحك تام هيو الجندى ذا الوجه الاحمر وأشار الى ســــاق تروى المكسورة :

ـ « ان عنادك يجعلك الآن على حافة الموت • يكفيك أن تنظر الى ساقك المكسورة لكى تعرف نتيجة الاصغاء الى دعوات فيت كونج » •

هنا •• لم يتمالك تروى نفسه • هب واقفا رغم ساقه المصابة وطوح بذراعه ونقدم بضع خطوات ثم قال بصوت مرتفع وهو يوليهم ظهره :

ـ « أنتم نفاية قذرة ، لن أتبادل معكم كلمة واحدة أخرى » •

كان « لوى » جالسا يسند ظهره الى جدار السجن . فقفز على قدميــــه واتجه الى تروى مسرعا ليقف الى جانبه خشية أن يفقد توازنه ويسقط على

الارض ، ولكنى فى تلك اللحظة رأيت قوة غير عادية تدب فى جسد تروى • لقد وقف منتصبا يتطلع الى السماء •

وصلت العربة • أدخلوا فيها تروى • فى ذلك الصباح كان موعد محاكمة كل من تروى ولوى • وها هى العربة تتحرك ونحن نقف جميعا نهتف باسمه ونلوح له بأيدينا • توقف عند باب العربة ليستدير الينا ويلتفت نحونا •

فى ذلك اليوم ، والايام التالية •• كلما قابلت مساجين آخرين كانوا يطالبوننى بأن أحكى لهم قصة تلك الدقائق العشر الثمينة التى كنت فيها على مسافة قريبة جدا من تروى • ومنذ ذلك الوقت ، أصبحنا نقول لبعضنا البعض ، عندما يضعون أى شخص منا فى غرفة التعذيب أو يرسلونه الى المنفى ، بطريقة تلقائيه : « ينبغى أن نكون فى مثل شجاعة تروى ، فلنعش كما يعيش » •

هكذا أنهت الأخت « ك » قصتها •

انقذوا زوجى

الأيام تمر ، والأحداث تسير فى شوارع سايجون • تتجمع المظاهرات •• حتى فى أثناء الليل • الناس الذين يعيشون حول منزل أبى وأمى ـ عمال طلاء المنازل وعمال الشحن والتفريغ وسائقو عربات اليد والطلبة وعمال محطة الكهرباء ومصنع تكرير السكر •• جميعهم توقفوا عن العمل ، وتجمهروا يحملون الرايات واللافتات الى مقر قيادة « خان » (١) يطالبونه بالاستقالة • أصبح كل أفراد الشعب يندددون الان بالجنرال ليوين خان الذى وقع قرار اعدام زوجى •• ويوجهون اليه ألفاظ السباب • كنت أتذكر ، فى تلك الايام ، كيف أن رفاقنا فى السجن كانوا يقولون ، عندما كنت معهم ، انه اذا قام سكان سايجون ، الذين يبلغ عددهم مليونين ، بثورة ضد سلطة العملاء •• يصحبها ـ فى نفس الوقت ـ هجوم من خارج المدينة ، فسوف تكون هذه هى نهاية العدو •

أعصابى فى توتر دائم ، وهذه الفكرة تدور وتدور فى رأسى : اذا انتفض شعب سايجون ، فسوف أقطع الطريق الى السجن فى لمح البصر وآساهم فى تحطيمه حجرا حجرا لكى يخرج زوجى حرا • ولكن ، فى أى سجن يوجد هو

---

(١) خان هو رئيس حكومة سايجون فى ذلك الوقت •

الان ؟ منذ صدر الحكم عليه بالاعدام ، يوم ١٧ أغسطس ، وأنا أحـــاول معرفة مكانه ٠

القلق ينشب أظافره فى عقلى ، ويجعل منى نصف مجنونة ٠ هل لا يزال فى سجن « تى هوا » ؟ ربما يكونوا قد قتلوه ، فى الوقت الذى يرسلوننى فيه الى هذا السجن أو ذاك لكى أسأل عنه ٠

وتوجهت الى مكتب سجن المحكوم عليهم لكى أتحرى عن مكان تروى ٠ وبينما كنت أقف فى انتظار احد جنود الحراسة ليحمل لى الرد على السؤال ٠٠ سمعت صوتا ينادى : « كويان ! كويان ! » ٠

انه زوجى ! لقد جاء الرد !

وفى الوقت الذى أسرعت فيه الى مصدر الصـــوت ٠٠ خارج مكتب السجن ، كانت عربة سجن تجرى مسرعة فى الطريق ٠٠ ووجه تروى ملتصق بنافذة من الاسلاك المتقاطعة المتشابكة فى العربة ٠

ظل ينادى اسمى ويلوح لى بيده ٠
جريت خلف العربة ٠٠ تجتاحنى موجة من الرعب ٠ أخذت أصرخ :
ـ « سوف يقتلوه ٠ أنقذوا زوجى » !

استدارت العربة فى شارع آخر واختفت عن الانظار ٠ وقفت فى عرض الطريق تلفنى سحابة من الغبار ، أنظر حولى فى حالة جنونية ، وأستغيث بمن ينجدنى ٠ واستمر صراخى : « تروى ! تروى » !

أطل أحد الحراس برأسة من نافذة صغيرة وأطلق عقيرته : « ما كل هذه الضوضاء ؟ انهم يأخذون زوجك لا لشىء سوى لكى يلتقطوا صورة له ،وسيعود الى السجن بعد ظهر اليوم ، سأعطيك تصريحا بزيارته ٠ تعالى الى هنا فى الساعة الثالثة ويمكنك مقابلته » ٠

لم أصدقه ٠ ووجهت اليه السؤال : « أهذا الذى تقوله لى صحيـــح بالفعل ؟ »

ـ « طبعا ، هذا هو تصريح زيارتك » ٠ عندئذ فقط شعرت بالاطمئنان وعدت الى السجن فى الساعة الثالثة ٠ كان تروى فى انتظارى بغرفة زيارات المحكوم عليهم ٠٠ يرقد فوق « دكة » خشبية ، رأسه تستقر على ذراعـــه ٠

يجلس الى جانبه سجين من زملائه عاونه على النزول من الطابق الثالث • وعلى مسافة بضع ياردات ، كان أحد رجال البوليس يجلس الى منضدة صغيرة • عندما لمحتنى تروى نهض جالســـا • كان يرتدى قميصـــا أبيض وسراويل مخططة •

تشبثت قبضة يدى بسلة الطعام التى أحملها • لا ينبغى أن تفلت السلة من يدى وتقع على الارض • وتذكرت نصيحة رفيقاتى فى السجن « ارفعى رأسك ! ومهما حدث ، لا تذرفى الدموع ، فان البكاء يضاعف همـــوم هؤلاء الذين تحبينهم » •

لم أكن أريد أن يصاب تروى بالقلق فيما يتعلق بى خلال الايام القليلة التى سيظل أثناءها على قيد الحياة ، ولكن الدموع جرت على خدى ،وأحسست بمرارتها فى شفتى • أردت أن أهتف باسمه ، ولكن صوتى خاننى ، وحلقى لم يطاوعنى • ضغطت على شفتى حتى لا أنفجر باكية ، واتجهت اليـــه فى صمت • أمسك بذراعى وضغط على معصمى وجذبنى الى جواره فوق (الدكة) الخشبية • وضعت رأسى على كتفه ولم أقو على السيطرة على نفسى • كنت أريد أن أتكلم ، ولكننى لم أستطع حتى أن أنطق باسمه ، ملت نحوه وبكيت • ومضت لحظة ، كان خلالها يمرر يده على شعرى برقة • ثم قال « لا بد أنها كانت صدمة كبرى لك عندما قرأت الخبر » •

قلت له ، وصوتى يختنق بالبكاء : « ماذا أستطيع أن أقول ؟ لقد جـاء الاصدقاء والاقارب ليذكروا لى الخبر بأسلوب رقيق ، وقد وجدوا أنفسهـــم يذرفون الدموع هم أيضا • ومرت أيام ، حاولت أثناءها أن أعرف السـجن الذى أرسلوك اليه ، وقد سأل والدى أحد المحامين أن يطلب تأجيل تنفيـذ الحكم » •

وظهرت علامات الضيق على وجه تروى وقال :

« لا تلجأوا الى محامى • ان هذا مجرد تضييع للنقود • »

ومضى يقول وهو يجفف دموعى : « ان علاقتك بى جرت عليك عـــذابا كثيرا • هل يثير هذا حفيظتك نحوى » ؟

ـ « اننى أحبك ، كيف أحمل فى نفسى ما يثير حفيظتى نحوك ؟ لقـد أسأت الحكم عليك فى بعض الاحيان ، ولكننى بعد أن دخلت السجن ، تعلمت على يد رفيقاتى اللاتى وضعن يدى على أخطائى • كم كنت أشعر بالخجل !

فى الفترة السابقة على اعتقالك لم تكن عندى أدنى فكرة عن قيامك بمزاولة عمل ثورى حينئذ ، ولذلك كنت غالبا ما أشك فى مسلكك مما جعلنى أميل الى العراك ، وهذا التصرف من ناحيتى ضاعف المشقة التى تكابدها أثناء قيامك بعملك » ٠

قال تروى :

ـ « قبل زواجنا بزمن قصير ، استغرقنى الاعداد لهذه المهمة ، ممـــا اضطرنى الى التغيب عن البيت فى النهار والليل ، والقاعدة ، فى مثل هذا النوع من النشاط ، هى السرية المطلقة ، ولذلك كان لا بد أن أكذب عليك فأدى هذا الى شكك فى اخلاصى لك ، وقد أدركت ذلك وشعرت بالاسف من أجلك ٠ ومنذ زواجنا ، لم تستطع حتى مجرد الخروج لنتمشى سويا ، كما وعدتك ٠ أعرف أننى لم أعاملك معاملة طيبة كما ينبغى ، ولكن ٠٠ لم يكن أمامى طريق آخر ٠ وفى بعض الاحيان كنت أرد عليك باجابات سخيفة ٠ ورغم أننا كنا فى الايام التى تلت زواجنا مباشرة ، كنت أخرج كل مساء لكى أعود فى ساعة متأخرة من الليل ، ذلك أننى كنت أحضر اجتماعات ،وبالاضافة الى هذا كان لا بد أن أعكف على دراسة حركات العدو حتى أضع الجهاز فى المكان الصحيح ٠ اننى لم أكن موفقا كزوج ! وعندما كنت تعبرين عما يدور فى رأسك من قلق ٠٠ أحاول تبرير تصرفى بدعوى اننى مشغول واغرق حتى أذنى فى عملى بالورشة ٠ ولو كنت فى مكانك لانتابتنى الشكوك أيضا ٠ انك كنت زوجة مخلصة ، وكان من الصعب على أية امرأة أخرى أن تتحمل هذا ٠ كنت ألاحظ تعاستك ، ولم يكن فى استطاعتى أن أشرح لك ظروفى ٠ كنت أفكر فى مصارحتك بعد انتهاء مهمتى ٠ ولكنك تفهمين موقفى الان ، أليس كذلك ؟

ـ « لقد فهمت كل شيء ، فى اللحظة التى ساقوك فيها الى البيت مكبلا بالاغلال » ٠

ـ « سبق أن قلت لك أكثر من مرة اننى أكره الكذابين والمخادعين ، وانه لا ينبغى أن يعمد الانسان الى الكذب حتى اذا كان الامر يتعلق بأشياء صغيرة ٠ ورغم ذلك كله ، فاننى خدعتك ٠ ولكنى لا أشعر بالخجل ، لاننى لم أفعل معك ما فعلت الا فى سبيل الثورة ٠ وفى المستقبل ، اذا كان لديك مهام ثورية فى مدينة مثل سايجون منكوبة برجال البوليس السرى وعملائهم، قد يكون من الضرورى أن تقصى بعض الحكايات أيضا لكى تغطى بها العمــل الذى تقومين به وتحتفظين به سرا ٠ »

تناولت برتقالة وبدأت تقشيرها لأقدمها لتروى ، ولكنه أوقفنى :
ــ سآكل فيما بعد . والان بقيت لدينا بضع لحظات قليلة ، وهناك أشياء كثيرة يجب أن أقولها لك . عندما أرسلونى مرة أخرى الى السجن التابع للادارة العامة للبوليس . قالت لى السجينات كل ما كنت تريدين قوله لى على لسانهن . قلن لى انك تقدمت تقدما كبيرا ، وانك استمعت الى نصيحتهن وشرعت فى تفهم الكثير من الاشياء .. كأنى كنت أستمع الى موسيقى عذبة وأنا أصغى اليهن ! ما زلت آمل أن أستطيع الهرب من السجن ، ولكن العدو قد يفعل أى شىء فى أى وقت . فاذا حدث أسوأ ما يمكن أن يحدث ، فاننى أرجو أن تستمرى مع أصدقائنا . »

كان يتكلم بعبارات يشوبها الحذر ، ولكنى أدركت ما يعنيه وفهمت ما يرمى اليه وهو يتحدث عن الشىء المخيف الذى يمكن أن يحدث له . أخرج منديلا جفف به دموعى . كان صوته يتهدج وهو يهمس فى أذنى :

« ان رفاقى سوف يعتنوا بك حتى لا تجدى نفسك وقد أصبحت وحدك . لقد رأيت ذلك بنفسك عندما كنت فى السجن . اننى لست الشخص الوحيد، فهناك آلاف من الرفاق الاكبر سنا ما زالوا على ولائهم للثورة رغم المعاملة الوحشية والتعذيب . انك تقابلين أناسا فى الشوارع : انهم لا يعملون لمجرد الحصول على تلك « السلطانية » من الارز التى يفوزوا بها كل يوم ، انهم يشتركون فى الثورة ، كل منهم يقوم بعمل خاص به . كثيرات فقدن زوجا أو ابنا أو شقيقا . كونى مثل هؤلاء . ينبغى أن تقومى بنصيب فى العمل الثورى ، حتى اذا كان هذا العمل يقتصر على توزيع منشورات أو نشر بعض الاخبار الطيبة . »

قلت له :

« ولكنى أخشى ألا يثقوا بى ، اننى أريد بالفعل أن أقوم بعمل ثورى . أما وقد قبضوا عليك ، فاننى راغبة كل الرغبة فى أن تتوفر لى فرصة للقيام بنصيبى فى الكفاح مثل رفيقاتى فى السجن » .
وأدار تروى دفة الحديث الى مسألة أخرى قال عنها أنها تثير قلقه :

ــ « هل صحيح أنهم ضربوا الشمال بالقنابل ؟ »
ــ نعم .
ــ كم مرة ؟

ـ مرة واحدة (١)

ـ هل أسقط قومنا أية طائرات ؟

ـ أربع طائرات أمريكية ٠

ـ هل لحقت بنا أية أضرار ؟

ـ ليس كثيرا ٠ ان بعض القرى التى تقع على الساحل هى التى تعرضت للضرب بالقنابل ٠

أومأ برأسه عدة مرات ، وظهرت على وجهه علامات السرور البالغ :

ـ « اذا هاجموا الشمال ، فان لذلك معنى واحدا ٠٠ هو أنهم يتجهون بسرعة لالقاء أنفسهم فى قبورهم ٠ واذا شرعوا فى هذه الهجمات مرة أخرى فعليك أن تتابعى الانباء بعناية لتذكرى لى كل ما ستسمعينه ، اذا سمحوا لك بزيارتى مرة أخرى » ٠

وسألنى عن أصدقائنا ثم قال :

ـ « عندما تشاهدين أقاربنا ، اعتذرى لهم نيابة عنى ٠ لقد حضروا حفل زواجنا ، ولكنى لم أذهب لزيارتهم ٠ كيف حال الأم ٠ لا ريب أنها حزينة جدا » ٠

وقطع الحارس مجرى الحديث ٠ أعلن انتهاء الوقت المحدد للزيارة ٠ وساعدت تروى لكى يقف على قدميه ، وجذبته بين ذراعى ٠ ان عندى شعور بأنى لن أراه مرة أخرى ٠ واستجمعت قوتى لكى آلقى اليه بسؤالى الاخير :

ـ هل سأراك ثانية ؟

أخذنى بين ذراعيه وقبلنى ٠ بللت دموعى خديه ٠ نظر فى عينى وقال : « سنلتقى مرة أخرى ٠ صدقينى » ٠ كانت يداى تتشبث بكتفيه عندما دفع رأسى بعيدا عنه ، فى رقة ، وداعب شعرى ، ثم قال :

ـ « حاولى أن تعيشى مثل رفاقك فى السجن ٠ تعلمى كيف يحتمل الانسان العذاب ٠٠ تشجعى ٠ »

---

(١) كان ذلك فى أغسطس عام ١٩٦٤ ٠ وقد حدثت الغارة الامريكية الاولى على فيتنام الشمالية يوم ٥ أغسطس فى تلك السنة ٠

أخذت أساعده على الوصول الى نهاية الغرفة ، وهناك كان ينتظره سجين آخر ليأخذ بذراعه أثناء صعود درجات السلم • تابعتهما بنظراتي حتى اختفيا عند منحنى السلم • وغادرت المكان •

قصـــــيدة

كانت فترة عصيبة •• تلك التي أمضيتها انتظارا لمجيء يوم ٣٠ أغسطس •• الموعد الذي سأقابله فيه ثانية • هل ستكون هذه هي زيارتي الاخيرة له ؟ أعددت كل شيء سآخذه معي في هذه الزيارة • فرغت من تطريز اسمه واسمي على الملابس والكيس وحفرت الاسمين فوق فنجان وعصـــاتين للاكل (١) من البلاستيك • وجعلت أتذكر القصائد التي علمتني اياها رفيقاتي في السجن • وقمت بتطريز القصيدة التي أفضلها عما عداها على أحد المناديل • استغـــرق هذا العمل عدة ليالي • يا لها من مفاجأة كبرى لتروى : لن يصدق انني قمت بذلك كله بنفسي • وعندما ذهبت الى منزل والدي لأستعمل ماكينة الحياكة ، قرأت شقيقتي القصيدة لوالدي :

عبر الأمواج والرياح
والعواصف والانواء
سيظـــل قلبي
وفيـــــا لك
رجائي أن تظل في أمان
بمنأى عن الأفكار
حتى تعود في يوم من الأيام
مع الانتصــــار
في جلال ، والمجد يكلل هامتنا
وقد توحدت بلادنا •

ــ « يا للسماء » ! هكذا صاح والدي •• « ان لديك ما يكفيـــك من المتاعب حتى الان ! فاذا أمسك بك رجال البوليس ووجدوا معك شيئا كهذا ، سيضربونك حتى الموت » •

---

(١) هما عصاتان قصيرتان رفيعتان استعملهما الصينيون والفيتناميون في تناول الطعام بدلا من الملاعق •

ــ « لا تخشى شيئا ، لن يمسكوا بك ! »

وفى صباح يوم ٣٠ أغسطس ، ذهبت الى سجن « شى هو » • ولم أكد أضع قدمى داخل مكتب السجن حتى هب الضابط النوبتجى واقفا ودفـــع اصبعه فى وجهى وهو يقول :

ــ « أصدرت السلطات أوامرها بمنع أى زيارة لك بعد الآن لنيوين فان تروى • ماذا قلت له عند آخر زيارة لك مما جعله يثير كل هذه المتاعب بعد انتهاء الزيارة ؟ »

ــ « لم أقل له شيئا سوى مجرد السؤال عن صحته ثم تحدثنـــا فى مسائل عائلية » •

ــ « حسنا ، لن تقابليه » ، ثم أردف باقتضـــاب : « هـــذا أمر من رؤسائى » •

ولم يجد حديثى معه نفعا ، بل لقد رفض أن يرسل لزوجى ما أحضرته معى من طعام وفاكهة • وعند بوابة السجن قابلت السيدة « م » • انفجرت دموعها عندما رأتنى :

ــ « لقد حكموا على زوجك بالموت ، أليس كذلك ؟ »

ــ نعم •

ــ هل جئت الى هنا لزيارته ؟

ــ نعم ، ولكنهم لم يسمحوا لى بالزيارة •

وعرضت السيدة أن تنقل الى زوجى ما أحضرته معى من طعام وفاكهة • وحدثتنى أيضا عن الكيفية التى أحصل بها على تصريح بزيارة أخرى لزوجى • لقد أسعدنى الحظ بلقائها • علمت أنهم نقلوا ابنتها من مستشفى « شـــو كوان » الى سجن « شى هوا » • وقد تعرفت السيدة « م » بعدد من رجـــال البوليس وتعلمت كيف تتعامل معهم ، بعد أن ظلت تلاحق ابنتها من سجن الى سجن لعدة سنوات •

لم أستطع الحصول على تصريح بزيارة لروى قبل ١٨ سبتمبر • وعندما توجهت الى سجن « شى هوا » أبلغنى رجل البوليس المشرف على مكتب السجن بأن فى استطاعتى زيارة زوجى على الفور ، بعد ظهر نفس ذلك اليـــوم ، ثم قال :

ـ « ان زوجك أصبح كاثوليكيا ، وجاء القس وتولى تعميده » •

سارعت الى خارج السجن واشتريت من الطعام ما عثرت عليـــه فى طريقى وخاصة ما وجدته من الفاكهة • تروى لم يكن يدخن أو يشرب الشاى، ولكنه كان مغرما بالفاكهة • وعدت مسرعة الى غرفة الزيارات وأنا أحمل كل ما اشتريته فوق ذراعى ، واتجهت مباشرة الى زوجى :

ـ هل تغيبت فى طريقى اليك ؟

وأزاح ، فى لطف ، خصلات من الشعر كانت تلتصق بوجنتى وجبهتى التى يسيل منها العرق ، وقال :

ـ « انك جئت فى موعدك تماما ، لماذا تتقطع أنفاسك » ؟

ـ لم أكن أتوقع أن يسمحوا لى بزيارتك اليوم ، ولذلك لم أحضر لك ملابسك وكذلك الكيس • لقد حصلت على تصريح الزيارة اليـــوم فقط • وكانت العادة ان يسمحوا بالزيارة بعد يومين من الحصول على تصريح ، أما اليوم ، فقد ذكروا أنه توجد مناسبة خاصة تتعلق بالسجن خلال بضعـــة أيام واننى اذا كنت أريد زيارتك ، فالأفضل أن يكون هذا اليوم • ولـذا سارعت بشراء بعض الطعام ••

وألقى نظرة على الاشياء التى أحملها وقال :

ـ « انك تنفقين نقودا كثيرة • اننى لا أحتاج الى كل هذا • يجب أن تدخرى النقود لتسددى نفقات زواجنا » •

ـ « لا تقلق بشأن الديون • أستطيع أن أدبر • هـــــل صحيح أنك أصبحت كاثوليكيا ؟ قالوا لى أنك تحولت • »

فسألنى فى دهشة :

ـ « من الذى قال هذا ؟ »

ـ « الرجل الذى يوجد فى مكتب السجن » •

ـ « هذا كذب • لن أفعل ذلك أبدا • لقد جاء بعض القساوسة وحاولوا ذلك ، ولكنى رفضت • لا تصدقى أى شىء يخبـــرونك به • انهم ينشرون الأكاذيب ليوهموا رفاقى خارج السجن انهم استطاعوا تدريجيا أن يغـــيروا موقفى ويكسبونى فى صفهم » •

ولمست بيدى ساقه ، ثم سألته :

ـ « متى سينزعون هذه الضمادات » ؟

ـ فى اليوم الخامس عشر ، كيف حال أبيك وأمك ؟

ـ انهم فى حالة طيبة • الصغيرة « كين » تريد أن تراك • ثم أننى أود أن أصحب معى ، فى زيارتك ، الصغير «دان» أيضا ، ولكن البوليس يراقبنى جيدا ، ولهذا أخشى أن أسبب المتاعب لأسرته •

ـ ماذا قالت « كين » عندما زارتنى فى المستشفى ؟

ـ ظلت تفاخر بأنها شاهدت « الأخ الكبير تو » وانه كان يسير على عكازين وابتسم فى وجهها •

ـ « اننى أحب هذه الطفلة • لقد لوحت بيدها ونادت « الأخ الكبير » ! يا للأسف ، لم أستطع أن اقترب منها أكثر من ذلك • كنت أود أن أندفع تجاهها واحتضنها • ربما تستطيع زيارتى ثانية فى نهاية هذا الشهر • دعيها تأتى معك • اشترى بعض الحلوى للصغير « دان » وقولى له انها مرسلة اليه من العم تروى • انه لا يختلف عنى عندما كنت فى عمره •• متعطش للحنان• أرجوك أن تهتمى بأمره ، هلا فعلت ؟ »

وهمست بصوت منخفض :

ـ « ماذا فعلت بعد انتهاء زيارتى الاخيرة لك ؟ قالوا انك سببت كل أنواع المتاعب ، ومنعونى من زيارتك بعد ذلك • »

« نقلت الى المسجونين الآخرين الأنباء الطيبة ، لكى أشيع السعادة فى قلوبهم • قلت لهم ان الامريكيين ضربوا فيتنام الشمالية بالقنابل ولم يلحقوا بها ضررا يذكر ، والعكس هو الذى حدث •• فقد خسروا عددا من الطائرات •• فاشتعلت البهجة فى نفوس جميع الرفاق وساد الاضطراب كافة أنحاء مبنى المحكوم عليهم • ان الاخبار التى جاءت على لسانك كشفت آكاذيب رجال العصابات •• هؤلاء ! »

ـ « لابد أنك شعرت بخيبة أمل عندما لم آقابلك يوم ٣٠ اغسطس • فان السيدة « م » ، التى عثرت على شخص يحمل اليك الطعام ، قالت لى انك كنت متبرما فى ذلك اليوم ، ولم تستطع أن تحمل نفسك على البقاء ساكنا » •

ضحك تروى :

ـ « مكثت أنتظر بعد ظهر ذلك اليوم على أحر من الجمـــر وأترقب أن يناديني الحارس الى غرفة الزيارات • كنت أتشوق لرؤيتك • لقد عثروا على صورتك معى ومزقوها ، وعندما حل المساء ولم يظهر لك اثر ، شعرت بقلق وتصورت انك قد تكونى مريضة أو أنهم قبضوا عليك • »

ونزلت احدى المسجونات من مبنى المحكوم عليهم وسارت لتجلس مع أمها على الطرف الاخر من « الدكة » الخشبية • كانت أمها تبكى ويعلـــو نشيجها بعد كل كلمة تقولها • انها تتحدث بلهجة مدينة هوى • وقلت لتروى ان اقاربه فى كوانج نام حاولوا عبثا ، الحصـــول على تصريح بزيارته • وسألنى : « هل ما زالوا يوجدون فى سايجون » ؟ قلت له انهم قد عادوا الى اقليمهم •

ـ « أرجوك أن تكتبى لهم • قولى لهم اننى فى حالة طيبة • وأين الأخ « باى » الآن ؟ هل أطلقوا سراحه ؟ »

ـ « نعم » •

قال •• وفى صوته رنة أسى :

ـ « أبلغيه تحياتى • لقد اعتقلوه ببساطة ، لانه يسكن معنا فى نفس المنزل • قولى له ألا يدع القلق يتسرب الى نفسه ، ليس هناك ما يحمله على بيع البيت والرحيل • أين ستعيشين اذا باع البيت ؟ »

جاء أحد رجال البوليس وناولنى ورقة • تطلع تروى الى الصورة الملصقة على الورقة وقال :

ـ « متى أخذوا هذه الصورة » ؟

ـ « فى الفترة الاخيرة ، أصدروا تعليماتهم بأن ترفق طلبات زيـارة المسجونين بالصور • »

ـ « يبدو عليك الهزال والشحوب فى هذه الصورة » •

وتفرس فى وجهى بنظرة يشع منها القلق

.. « انك شاحبة للغاية •• لماذا » ؟

ـ « اننى فى حالة طيبة •

— « هل لا يزال جيراننا يسمحون لك بالاستحمام لديهم ؟ »

— « نعم ، انهم يعاملوننى معاملة طيبة على الدوام » •

وأخذ يذكرنى بدرجات السلم :

— « انها مائلة • يكفى أن تحملى معك نصف دلو من الماء حتى لا تسقطى على وجهك » •

— « لا تشغل نفسك بهذه الأشياء الصغيرة • اننى تغيرت كثيرا ، وأصبحت قوية الان » •

وغير تروى مجرى الحديث :

— « ما هو الموقف فى المدينة ؟ »

— « أقدمت الحكومة على بضع تنازلات طفيفة ، ولذلك لم تعد هناك مظاهرات كثيرة • وعندما وقع ذلك الانقلاب ، لم يغمض لى جفن طوال الليل وأنا أترقب سماع طلقات النيران • ولكن ، عندما حل الصباح وعاد الموقف الى حالته الطبيعية شعرت بخيبة أمل • بيد أنه جرت معارك كثيرة خارج المدينة ان سائقى سيارات اللورى والتاكسى الذين يقطنون بجوارنا يقولون انهم كثيرا ما يلتقوا بقوات التحرير • وفى بعض الاحيان يوقف رجال التحرير مئات من السيارات وعربات الاوتوبيس فى عرض الطريق ويعقدون الاجتماعات مع ركابها • وغالبا ما نسمع ، ونحن فى داخل بيوتنا ، أصوات الطلقات النارية أثناء الليل • ألا تسمعها ؟ »

أومأ برأسه وأخذ يصغى فى انتباه .

« أصدقاؤنا فى كوانج تام يقولون ان موطنك هناك يكاد يكون قد تحرر كله • توجد آلاف من قوات التحرير فى كل مكان من كوانج تام ، وتحمل هذه القوات أسلحة حديثة جدا بالنسبة للاسلحة التى كانت تحملها خلال الحرب المقاومة ضد الفرنسيين بل ان الموقف فى سايجون يختلف كثيرا عما كان عليه منذ عدة شهور قليلة • ولو كان فى استطاعتك الخروج من هذا السجن لتأكدت من ذلك بنفسك • حتى الشبان الصغار يطلقون شتائمهم ضد نجوين خان • لا يوجد شخص يحمل أى احترام « للحكومة » • لقد حاصر الطلبة والشباب منزل نجوين خان وأرغموه على الخروج وتقديم اعتذار علنى • هل تظن أن الامور يمكن أن تستمر على هذه الصورة لفترة طويلة ؟ »

أمسكت يده . بدا لى انه ليس هزيل الجسم بالصورة التى شاهدته عليها قبل ذلك . اختفت العروق الزرقاء التى كانت بارزة فى يده عنـــدما رأيته فى المستشفى . ابتسم عندما لمست اصبعه .

« لقد بعت خاتم الزواج . ففى اليوم الذى ذهبت فيه لاضــع اللغم لاحظت أننى فى حاجة الى أسلاك . لم تكن هناك فسحة من الوقت تسمح لى بالاتصال بالمنظمة ، ولم يكن معى شيئا من النقود . الشىء الوحيد الذى كنت أمتلكه والذى يمكن أن يباع بسهولة هو الخاتم . وهكذا بعته . قلت لنفسى فى تلك اللحظة : طالما اننى على استعداد للتضحية بحياتى ، فلماذا أتردد فى بيع خاتم ؟ وعندما سمعت سؤالك بعد ذلك عن الخاتم ، لم اعرف كيف أقدم ردا شافيا ، قلت لك أنه يعوقنى عن أداء عملى . هل كنت غاضبة ؟

أخفيت وجهى فى يديه . قلت بصوت صارخ :

ـ « آه . كفى لا تتكلم . لقد كنت غاية فى الجهل . لو كنت قــد استطعت أن أفوز بثقتك .. كنت ستطلب منى ان أشترى لك هذه الاسلاك ، فى هذه الحالة لم أكن لأتردد فى أن أفعل » .

ـ « عهد الى بهذا العمل قبل زواجنا مباشرة . أنت تدركين الان أنها كانت مهمة غاية فى الخطورة . كانت القيادة تريد ان تمنحنى عــدة أيام كأجازة لقضاء شهر العسل . ولكنى واجهتها باصرارى على مواصلة مهمتى . لقد انتظرت زمنا طويلا ، فرصة تتاح لى لقتل المعتدين الامريكيين . والان ها هى فرصة تلوح أمامى للقضاء على أحد رؤسائهم . لم أستطع أن أدع هذه الفرصة تفلت من يدى . أخفيت عليك كل شىء لأننى لم أكن اريد اثارة القلق فى نفسك . كنت أعتزم ضمك الى المنظمة بعد أن أفرغ من مهمتى ، فقد ظل الأمل يداعبنى انتظارا لليوم الذى تصحبنى فيه رفيقتى بعــد أن أصبحت زوجتى » .

غلب عليه الصمت برهة من الوقت ثم سألنى :

ـ « ألست حامل » ؟

قلت وأنا اهز رأسى :

ـ « لا » .

احسست أنه شعر بخيبة أمل ، فلم أتكلم . ثم جاء أحد الحراس

ليعلن انتهاء الوقت المحدد للزيارة . جاء أحد المسجونين وهو في عمر تروى ، وقدمه لي زوجي ثم قال : « ان أصدقائي هنا يساعدونني كثيرا » .

وقلت لصديقه :

— « ان زوجي مريض . انني أشعر بالامتنـــان نحـــوكم لاهتمـامكم بأمره » .

— « العفو . ان الناس الذين يعيشون سويا داخل السجن ينبغي ان يساعد بعضهم بعضا ، هذا لا يستدعي الشكر . اننا نعتني ببعضنا البعض ، فلا تقلقي » .

وعندما سلمت لتروى اللفائف التي أحضرتها معي قال لي مرة أخرى :

— « اذا سمحوا لك بالحضور مرة آخرى فلا تضيعى كل هذه النقود لكي تشترى لي طعاما . »

بائعة جوالة

السيدة « م » تعاملني كما لو كانت تعامل ابنتها بالتبني . عنـــدما استرعى انتباهها انني أعمل وأكابد لكي ألبي حاجات تروى رغم مرضى ، شعرت بالاسف من أجلي .

— « عندما كنت في سنك » هكذا قالت ، .. « كان زوجي في السـجن أيضا وكنت أتعذب مثلك تماما .. وأنا أقوم بزيارته واحضار الاطعمة له . ثم أطلقوا سراحه وعادوا الى القبض عليه مرة آخرى وألقوا به في سجن ليموت في النهاية في سجن « شي هوا » .. نفس هذا السجن . »

ان لها ولدان وابنة . أحد أبنائها ذهب للدراسة في الاتحاد السوفييتى منذ سبع أو ثماني سنوات ، والابن الاخر .. جندى ذهب الى الشمال . ألقوا القبض على ابنتها منذ أربع سنوات عندما أمسكوا بها وهى تقـــوم بتوزيع منشورات تعلن عن تأسيس جبهة التحرير الوطنى لفيتنام الجنوبية .

كانت السيدة « م » تعيش مع احدى بنات شقيقها وتشتغل بائعة جوالة لتستطيع مواصلة الحياة . انها تحتفظ ببعض الصور التى وصلتها مهربة .. لمشاهد في الاتحاد السوفييتى وفى الشمال ، هذا هو ابنها يرتدى حلـــة العمل البيضاء ويجلس في مواجهة لوحة جهاز لاسلكى تغطيها اقراص مستديرة وهذه هانوى يوم عيدها القومى .

وهذه زوجة ابنها .. عاملة نسيج تقف فى شرفة عالية مع أطفالها . ان السيدة « م » تذكر لى قصة كل صورة .. وتقول :

ـ « سنكون سعداء مثلهم فى يوم من الأيام » .

كان قلبها يفيض بالحنان ، وقد أرسلت معى عدة هدايا لتروى عندما زرته للمرة الثالثة :

« قولى له اننى لا أفكر فى ولدى اللذين ذهبا الى الاتحاد السوفييتى والشمال ـ حيث يعيشان الان حياة سعيدة ـ مثلما أفكر فى أن لى طفلين نفسها مضطرة لان تتحسس طريقها بالمشاعل ، انها لا تعرف كيف تدير محطه لتوليد الكهرباء .

كنت أنصت اليه مشدوها ، ولكنى لم أستطع أن أتخيل العمـال وهم يتفقون جميعا على التوقف عن العمل فى وقت واحد .

ولكن .. منذ أيام جاءت الساعة . وفجأة انقطعت الكهرباء وتوقفت المياه فى جميع أنحاء السجن . لم نعد نسمع أصـوات حركة المرور فى الشوارع ، وعرفنا الخبر : أعلن الاضراب العام فى سايجون توقفت الحيـاة فى السوق وأصيبت المدينة كلها بالشلل . كم كنا سعداء ! » .

وتحينت فرصة لكى يرى تروى القصيدة التى قمت بتطريزها فـوق قطعة القماش والوسادتين المطرزتين بالزهور ـ هدية الزواج ـ من زفيقاتى فى السجن . نظر تروى الى هذه الاشياء فى ذهول واعجاب . ولكنه لم يستطع أن يأخذها معه لانهم يفتشون كل شىء يحمله معه .

قال تروى وهو يرجو منى أن أنقل الى رفيقاتى امتنانه لهن بسبب عنايتهن وتعليمهن اياى : « حاولى أن تحذى حذوهن سواء كنت أعيش بجانبك أو لا أعيش . أرجو أن تكون حياتك مثلهن وان تكونى مخلصة للثورة . ها أنت تعودين للبكاء ، أرجو ألا تفعلى ذلك ، تعلمى كيف تواجهين الصعاب » .

ولكن عينيه كانت مليئة بالدموع . وطلب منى أن أحافظ على الماندولين فى حالة جيدة .. فقد كان الاطفال من جيراننا قد اعتادوا المجىء فى الليـالى القمرية ليستمعوا اليه وهو يعزف . وقال تروى وهو يودعنى :

ـ « اذا سمحوا لك يوم ١٥ أكتوبر بارسال طرود ولم يسمحوا لـك بزيارتى .. أكتبى لى رسالة » .

تحذير من ثوار فنزويلا

فى الثامن من اكتوبر أعلنت صحف سايجون أن تنفيذ حكم الاعدام ضد تروى سيتم فى الاسبوع القادم • جاءنى بالنبأ المروع غلام من بائعى الصحف وهو شاحب الوجه ينتفض بالانفعالات • قرأت الصفحة الاولى من جريدة هان دونج « العمل » وكانت تقول :

« ان أول رجل سيواجه الاعدام رميا بالرصاص هو ذلك الذى وضـــع لغما تحت جسر كونج لى حيث كان من المقرر أن يمر فوقه ماكنمارا فى شهر مايو الماضى » • وثمة صحف أخرى ذكرت بأسلوب سافر أن الحكومة تعتزم اعدام بعض الاشخاص علنا بهدف ارهاب حركة المعارضة الشعبية بعـــد أن تزايدت المظاهرات وانتشرت الاضرابات •

وسارعت الى مقر عملى للحصول على اجازة حتى يتوفر لى الوقت للسعى الى تأجيل تنفيذ حكم الاعدام • وذهبت الى منزل والدى ، وصحبنى أبى الى احد المحامين • كان تروى قد حذرنى من محاولة اللجوء الى المحامين وقال ان هذا ليس سوى تبديد للنقود دون جدوى ، ولكننى لست على استعداد لتنفيذ ما نصح به ولن أدخر وسيلة ، طالما ظل هناك شعاع من أمل ، لكى أنقذه •

وفى مساء يوم الاحد ١١ أكتوبر عدت الى البيت بعد أن دفعت لمكتب المحامى خمسين جنيها للمصاريف • وعند الباب صاحت شقيقتى الصـــغرى عندما رأتنى :

« الأخ تو •• لن يموت » !

وشعرت بغضب شديد فلم ألق اليها بالا •• ليس هذا وقت القـــاء النكات • وبينما كنت واقفة واليأس يمزق نفسى ، ناولتنى شقيقتى احـــدى الصحف وقالت : « هذا ما تقوله الصحف ، أنظـــرى هـــذه هى صورة الأخ تو » •

تطلعت الى الصورة فى جريدة « شين شى » • كان تروى يقف الى جوار منضدة عليها لغم وحزمة من الاسلاك • وعنوان الخبر : « مكالمة تليفونية ـ حياة كولونيل أمريكى فى مقابل حياة الفيت كونج نيوين فان تروى » •

وجاء فى تفاصيل الخبر : « أسر رجال حرب العصابات فى فنزويلاضابطا أمريكيا برتبة كولونيل وعرضوا الافراج عنه فى مقابل الافراج عن نيوين فان

تروى الذى ينتمى الى فيت كونج • أعلن ثوار فنزويلا انه فى حالة اعـــدام نيوين سيقومون باعدام الكولونيل الامريكى سموتين فى نفس اللحظة » •

وقفت بلا حراك وقد أخذتنى الدهشة لم تواتنى الجرأة على التصديق • يا لها من مسألة محيرة ! هل يمكن أن تكون هذه خدعة أخرى تقوم بهـــــا الصحف ؟

جاء الجيران يحملون فى أيديهم صحفا أخرى ويقدمون التهنئة ،وعبارات كثيرة تتردد على ألسنتهم : « يا لها من مأساة لو كنت قد أصبحت أرملة وأنت فى هذا السن ! » يا لروعة هؤلاء الناس الاجانب الذين سينقذونه ! » « أنت سعيدة الحظ يا طفلتى ، لقد دارت الدوائر وانقلبت عليهم المنـــــاضد » • الكلمات والعبارات تختلط ببعضها وأنا لا أدرى هل هذا الخبر صحيح أم لا • وغادرت منزل والدى وذهبت الى بيتى • جيران كثيرون وقفوا فى انتظارى : « استعدى لاستقبال زوجك » • كان أهالى الحى الذى أقطن فيه فقراء للغاية ، جميعهم من الباعة الجائلين لا يقرأون الكتب أو الصحف ولا يعرف أى منهم فى سجن شى هو » • كانت تعنى ابنتها وزوجى •

نحن أقوى منهم

فى هذه المرة اصطحبت معى الصغيرة « كين » • سرنا عبر الممشى الى المكان الذى كان تروى ينتظرنى فيه • لمحته كين بسرعة ونادته : « أخى تو »: شعرت بسعادة غامرة : ان صحته قد تحسنت . لم يعد وجهه نحيلا جدا كما كان فى الايام السابقة • اتجه الى الباب وهو يجر ساقه التى لم تبرأ حتى الان واحتضن الصغيرة « كين » • أسند خده على رأسها وسألنى :

ــ « كيف حال الأب والأم ؟ »

ــ «انهم فى خير حال • لقد زاد وزنك قليلا » •

منذ القاء القبض عليه ، لم تكن صحته على ما يرام كما أراه الآن • ابتسم وتناول يدى ليقول :

ــ « سوف أزداد وزنا ، أما أنت فما زلت نحيلة جدا ، انك تحملـــين نفسك فوق طاقتك » •

حاولت أن أقول له شيئا يبعث الاطمئنان فى قلبه .

ـ « لا يحدث هذا بالمرة ، اننى أتبع نصيحتك فلا أعمل آكثر من ثمانى ساعات يوميا » .

تطلعت الصغيرة كين الى تروى لتسأله :

« متى تعود الى البيت ؟ »

وقدم تروى لها وعده :

ـ « فى عيد رأس السنة القمرية سأعود حتما ، كونى فتاة طيبةوتذكرى دائما انك يجب عليك زيارة الأخت كويان » .

ـ « اننى أجدها تبكى فى كل مرة أزورها » .

ظهر القلق على ملامح تروى ، ولم أجد شيئا أقوله له ثم تكلم بعد لحظة فى صوت هادىء :

ـ « أنت تعيشين وسط حركة تنمو على الدوام ، ينبغى أن تكونى سعيدة وتشاركين الجميع أفراحهم . فى الأيام القليلة الماضية كان الرفـــــاق فى الزنازين يصدحون بالاغانى من أعماق قلوبهم . اضراب عام فى سايجون . سايجون بلا مياه وبلا كهرباء ! يا للفرحة ! فى الماضى ، عندما كان يدعــو الداعى الى اضراب ، كان يستجيب لهذه الدعوة مصنع واحد أو عدة مصانع قليلة . أما فى هذه المرة فقد اشترك الجميع فى الاضراب . أذكر عنـــدما حصلت على عضوية رابطة الشباب انهم أرسلونى للاشتراك فى برنامج دراسى وكان المدرس شخصية مدهشة ، لقد شرح لى أشياء عدة وعلمنى الكثير . كنت أشتغل عاملا ، ولكن قبل أن أشترك فى هذا البرنامج الدراسى لم أكن أدرك القوة الكامنة فى طبقتنا العاملة . قال لى المدرس يوما : «ألست عاملا كهربائيا؟ هل تستطيع أن تقول لى عدد الاجهزة الكهربائية أو الاستعمالات الكهربائيـة فى منزلك ؟ » فقلت له : « ليس عندى منها شىء ، والضوء الوحيد الذى نملكه هو الذى ينبعث من مصابيح الغاز ، بل ان هذا هو الحال فى معظم المنطقة التى أعيش فيها » .

ابتسم المدرس وقال :

« المشتغلون بالعمليات الكهربائية يعيشون بلا كهرباء . هل يبدو هذا أمرا معقولا ؟ عليك بالذهاب الى الاحياء الامريكية لالقاء نظرة هناك . حتى.. بيوت الكلاب تتمتع بالاضواء الكهربائية . اذا توقف عمال الكهرباء عن العمل

ليوم واحد ستعيش المدينة كلها فى ظلمة حالكة • ان جماعتهم كلها ستجد
ـ « لا بد أنها ستتم فى دولة محايدة » •
ـ « لا بد أن تروى سيذهب الى الشمال بعد اطلاق سراحه » •
ـ « وستذهب كويان معه ، فان هذا هو حقها باعتبارها زوجته » •
ـ « أصدقاؤنا فى الشمال سيشاهدون تروى ، أما نحن فلن نستطيع ذلك » •

وكان عقلى يفيض بأحلام وردية •

رسالة

تلقيت رسالة من تروى • كان قلبى يدق بعنف قبل قراءتها • لا بد انه عرف هذه الاخبار الطيبة الجديدة •

كانت الرسالة مقتضبة ومرسلة عن طريق البريد :

« أيتها العزيزة كويان

« أرجو أن تكونى فى صحة طيبة • أشعر بصداع دائم يحرمنى من النوم • صحتى ليست على ما يرام • أريد علبة من المرهم يحتوى على مادة المنتول الكيميائية • أرجو أن تحضرى معك هذه العلبة فى زيارتك القادمة • لا تشعري بقلق من أجلى • تحياتى الى أقاربنا وأصدقائنا • حاولى القيام بزيارتهم ونسيان همومك •

هل ستذكرين ما قلته لك ؟ »

« تروى »

وكانت ثمة رسالة أخرى مرفقة بهذه الرسالة •

« عزيزى لوى » •

« سمعت أنك ذهبت لتسكن مع كويان • أرجو أن تبذل كل ما فى وسعك لتصرفها عن البكاء • تذكر شيئا مسليا تقصه لها حتى تنسى أحزانها • شكرا •

وكتب تروى عدة رسائل قصيرة أخرى الى والدى وابن عمه « هوا » والاخ « باى » الذى يعيش معنا فى المنزل •• يدعوهم جميعا الى الاهتمام بأمرى •

جريمة فى سايجون

من الواضح أنه لم يعرف شيئا عن موضوع فنزويلا ، ويبدو انه لا يزال يعتقد انه سيواجه الاعدام فى الاسبوع القادم .

وفى صباح ١٥ أكتوبر ذهبت الى سجن « شى هوا » ومعى حزمة من الطعام ومجموعة من الادوية وبذلة جديدة له . كان ثمة لافتة كبيرة فوق بوابة السجن وقد كتب عليها « جميع أفراد مركز اعادة التربية يحيون المجلس الوطنى الاعلى » . ان أشياء غير عادية تحدث فى هذا المكان . قوات الحرس اصطفت على طول الطريق المؤدى الى السجن . لا توجد امرأة على وشك زيارة زوجها المحكوم عليه بالاعدام بهذا الهدوء النفسى والتفاؤل . هكذا كنت . يا لها من أخبار طيبة أحملها معى الى ترى . وانتظرت .. وطالت فترة الانتظار وبعد أكثر من ساعة جاء أحد رجال البوليس .

— « عندنا ضيوف اليوم . انها مناسبة خاصة . ألغيت جميع الزيارات للمسجونين . غير مسموح باستلام طرود . يمكن أن تأتى فيما بعد .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحا . وسرت على مهل . ومر أمامى فوج من الصحفيين الفيتناميين والاجانب وهم يسرعون الخطى وعلى أكتافهم تتدلى أجهزة التصوير .

وخطوت الى جانب الطريق حتى أتفادى عربة عسكرية تشق طريقها الى داخل السجن . كانت العربة تحمل نعشا . « مات سجين آخر » . . هكذا كنت أحدث نفسى . وبعد أن سرت قليلا .. وقع بصرى على امرأة يلوح عليها حزن هائل ، يبدو أنها عرفتنى .. لقد كانت من البائعات اللاتى أشترى منهن الطعام لزوجى قبل الدخول لزيارته فى الايام الماضية . قالت :

— « لماذا تعودين الان . انهم سينفذون حكم الاعدام فى زوجك الان . لماذا لا تطلبين رؤيته ؟ » .

— « ليس هذا صحيحا ، قالوا لى اننى أستطيع أن أحضر له الطعام بعد ظهر اليوم ، ثم أن حكم الاعدام تأجل تنفيذه » .

— « بعد أن أفرجوا عن ذلك الامريكى هناك .. فى البلد البعيد ، تراجع حكامنا هنا عن وعدهم السابق . قال لى الجنود ان الرجل الذى وضع لغما تحت جسر كونج لى سيعدم الان رميا بالرصاص » .

سارعت جريا الى السجن • الابواب الحديدية مغلقة • أخذت أصرخ بينما يحاول الحراس آن يدفعونى بعيدا عن المكان :

— « لا تستطيعون قتل زوجى • لا تستطيعون قتله ! ليس لكم الحق فى ذلك ! أتركونى أراه » •

أين تقع فنزويلا

وكان الشيء الذى يثير دهشة الناس هو كيف استطاع شعب فنزويلا أن يعرف بهذه السرعة ، ان تروى سيواجه تنفيذ حكم الاعدام ، والذى آثار عجبهم أكثر من ذلك هو كيف استطاعوا ان يأسروا ضابطا أمريكيا كبيرا لكى يعرضوا اطلاق سراحه مقابل حرية تروى • أما أنا فقد كنت على يقين من شيء واحد : ان رجال حرب العصابات فى فنزويلا يقومون بنشاط مماثل لرجال حرب العصابات فى فيتنام الجنوبية ، وهذا هو السبب فى تعاطفهم مع تروى •

وتدفق الكثير من الناس على البيت وهم يحملون معهم جميع أنواع الصحف ، وصوت الباعة كان يدوى فى الشوارع : « ملحق ! آخر الاخبار ! مكالمة تليفونية تنقذ حياة انسان ! » ولا ريب ان صحف سايجون سجلت أرقاما قياسية فى التوزيع ذلك اليوم • زالت الكآبة من البيت لكى يحل محلها الكلام والضحك • ظن الناس اننى لا بد أن اكون على علم بالسبب الذى يجعل أهالى فنزويلا يحملون هذه المشاعر القوية تجاه زوجى •

فى ذلك المساء ذهبت لزيارة العم « ز » لكى يشرح لى معنى هذا الحدث • كان العم « ز » يعرف تروى جيدا وقد حضر زواجنا كما انه دخل السجن لعدة سنوات ابان حكم نجودين دييم • قال لى :

« ان الامريكيين يواجهون مقاومة فى كل مكان فى العالم هذه الايام • ألم يتحدث معك تروى عن عمليات المقاومة ضد الامريكيين فى سايجون ؟

حسنا • ان نفس الشيء يحدث فى فنزويلا وهى قريبة من الولايات المتحدة .ولهذا فان القهر الامريكى أشد وطأة عليها • وتوجد فى فنزويلا كميات كبيرة من البترول ولكن اليانكى يسرقونه ولهذا يقاوم شعب فنزويلا الامريكيين كذلك يوجد هناك رجال حرب عصابات وجبهة للتحرر الوطنى معادية للامريكيين • كما هو الحال فى فيتنام الجنوبية ولو كان زوجك قد نجح فى القضاء على ماكنمارا فلا شك أن فنزويلا كلها ستشعر بالبهجة لان العدو الذى يغزو بلادهم ويعتقل أبناء شعبهم ويذبحهم هو نفس العدو الذى يحارب

ضد شعب فيتنام • وهذا هو السبب فى أن اعتقال زوجك كان له تأثير عميق فى نفوسهم • ورغم أن هناك آلاف السجون فى فنزويلا ورغم أن أحكـــام الموت على المواطنين هناك تصدر بالجملة فقد اتجه تفكير ثوار فنزويلا إلى زوجك والى فيتنام الجنوبية قبل بلادهم نفسها • »

وأشار العم « ز » الى فنزويلا على الخريطة وقال :

« لقد اهتم آهالى سايجون فجأة بفنزويلا • حتى زوجتى كانت تسألنى عن سبب هذا التضامن بين هذه الدولة وبين بلادنا • »

آمال كبـــار

كنت أشعر بالسعادة والفخر وأنا أسير فى شوارع سايجون أسمــــع الناس وهم يتحدثون عن مبادلة سمولين بتروى وعن الرابطـــة الوثيقة بين نضال هذا البلد البعيد فى أمريكا اللاتينية وبين بلادنا • ورغم أن البوليس كان يراقبنى عن كثب فلم تنقطع وفود الزائرين الذين كانوا يجيئون لتهنئتى على هذه الاخبار الطيبة •

ووسط زحام الجمهور فى شوارع سايجون يوم الاحد انطلق صــــوت باعة الصحف : « تأجيل اعدام نيوين فان تروى ! »

الاصدقاء والاقارب والزوار لا يكفون عن الحديث :

ــ « جبهة التحرير الوطنى لن توافق على أن تتم المبادلة فى سايجون »

ألقى بى الحراس بعيدا بالقوة • وعندما ذهبت الى المحامى أسأله عـــن مصير تروى ظهر عليه التردد ، ثم أمسك بسماعة التليفون وطلب مكتب السجن • انه لم يصدق ما قلته له ولكن ملامح وجهه تغيرت فجأة عندما وضع السماعة :

ــ « لقد تم اعدامه فى الساعة الحادية عشرة صباح اليوم • كل مانستطيع أن نفعله الان هو أن نطلب جثته » •

(رقم الايداع ٥٩٤ سنة ١٩٦٩)

قامت بنشره
السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن
الشعوب الأفريقية الآسيوية
٨٩ ش عبد العزيز آل سعود بالمنيل
القاهرة — ج. ع. م

(أكتوبر ١٩٦٩)